بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة آل عمران

وهى مدنية، لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت فى وفد نجران وكان قدومهم فى سنة تسع من الهجرة، كما سيأتى بيان ذلك عند تفسير آية المباهلة منها، إن شاء الله تعالى، وقد ذكرنا ما ورد فى فضلها مع سورة البقرة أول تفسير البقرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٤﴾

قد ذكرنا الحديث[1] الوارد فى أن اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ و﴿الٓمٓ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ عند تفسير آية الكرسى وقد تقدم الكلام على قوله ﴿الٓمٓ﴾ فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد تقدم أيضًا الكلام على قوله: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فى تفسير آية الكرسى.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ﴾ يعنى نزل عليك القرآن يا محمد بالحق، أى لا شك فيه ولا ريب، بل هو منزل من عند الله، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا، وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء فهى تصدقه بما أخبرت به، وبشرت فى قديم الزمان، وهو يصدقها، لأنه طابق ما أخبرت به، وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه. وقوله: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ﴾ أى على موسى بن عمران، ﴿وَالْإِنجِيلَ﴾ أى على عيسى ابن مريم عليهما السلام، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أى من قبل هذا القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أى فى زمانهما. ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال. والحق والباطل، والغى والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك. وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان - ههنا - القرآن. واختار ابن جرير أنه مصدر ههنا لتقدم ذكر القرآن فى قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن. وأما ما رواه ابن أبى حاتم[2] عن أبى صالح، أن المراد بالفرقان ههنا التوراة، فضعيف أيضًا لتقدم ذكره التوراة، والله أعلم.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾ أى جحدوا بها وأنكروها وردوها بالباطل، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أى يوم القيامة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أى منيع الجناب عظيم السلطان، ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ أى ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام وأنبياءه العظام.

---

(١) سبق تخريجه في سورة «البقرة» آية (٢٥٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٣٧)، برقم (٥١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي يخلقكم كما يشاء في الأرحام من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي هو الذي خلق، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام، والحكمة والأحكام. وهذه الآية فيها تعريض، بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر، لأن الله صوره في الرحم وخلقه كما يشاء، فكيف يكون إلهًا كما زعمته النصارى، عليهم لعائن الله، وقد تقلب في الأحشاء وتنقل من حال إلى حال؟ كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾[الزمر: ٦].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات، هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد. وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروى عن السلف عبارات كثيرة فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه وحدوده وفرائضه وما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضًا أنه قال المحكمات قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١] والآيات بعدها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣] إلى ثلاث آيات بعدها ورواه ابن أبي حاتم[(١)] وحكاه عن سعيد بن جبير به قال: حدثنا أبي حدّثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية وهي ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فقال أبو فاختة: فواتح السور، وقال يحيى بن يعمر: الفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام. وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير: هنّ أمّ الكتاب لأنهنّ مكتوبات في جميع الكتب، وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهنّ، وقيل في المتشابهات:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣)، برقم (٨٠).

أنهن المنسوخة والمقدم والمؤخر والأمثال فيه والأقسام وما يؤمن به ولا يعمل به، رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس. وقيل هى الحروف المقطعة فى أوائل السور قاله مقاتل بن حيان، وعن مجاهد المتشابهات يصدق بعضها بعضًا وهذا إنما هو فى تفسير قوله ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] هناك ذكروا أن المتشابه هو الكلام الذى يكون فى سياق واحد والمثانى هو الكلام فى شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار وذكر حال الأبرار وحال الفجار ونحو ذلك. وأما ههنا فالمتشابه هو الذى يقابل المحكم، وأحسن ما قيل فيه هو الذى قدمنا وهو الذى نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف عما وضعن عليه، قال: والمتشابهات فى الصدق ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرفن عن الحق.

ولهذا قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أى ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أى إنما يأخذون منه بالمتشابه الذى يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أى الإضلال لأتباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] وبقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أى تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل بن حيان والسدى يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن وقد قال الإمام أحمد[١] حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى قوله ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فقال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم» هكذا وقع الحديث فى مسند الإمام أحمد من رواية ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها ليس بينهما أحد وهكذا رواه ابن ماجه[٢] من طريق إسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن أيوب عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة عنها به. ورواه محمد بن يحيى العبدى فى مسنده عن عبد الوهاب الثقفى عن أيوب به وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب وكذا رواه غير واحد عن أيوب وقد رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أيوب به. وتابع أيوب أبو عامر الخراز وغيره عن ابن أبى مليكة. فرواه الترمذى عن بندار، عن أبى داود الطيالسى، عن أبى عامر الخراز، فذكره وهكذا رواه سعيد بن منصور فى سننه عن حماد بن يحيى الأبح، عن عبد الله بن أبى مليكة، عن عائشة.

ورواه ابن جرير[٣] من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجمحى، كلاهما عن ابن أبى

---

(١) في المسند (٢٣٦٩٠).
(٢) صحيح: ابن ماجه (٤٧)، وانظر صحيح ابن ماجه.
(٣) في التفسير (٦/ ١٩٣).

مليكة، عن عائشة به. وقال نافع فى روايته عن ابن أبى مليكة: حدثتنى عائشة، فذكره. وقد روى هذا الحديث البخارى [(١)] عند تفسير هذه الآية، ومسلم [(٢)] فى كتاب القدر من صحيحه، وأبو داود [(٣)] فى السنة من سننه، ثلاثتهم عن القعنبى، عن يزيد بن إبراهيم التسترى، عن ابن أبى مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: تلا رسول الله ﷺ، هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» لفظ البخارى. وكذا رواه الترمذى [(٤)] أيضًا، عن بندار عن أبى داود الطيالسى، عن يزيد بن إبراهيم به وقال: حسن صحيح وذكر أن يزيد بن إبراهيم التسترى تفرد بذكر القاسم فى هذا الإسناد. وقد رواه غير واحد عن ابن أبى مليكة عن عائشة، ولم يذكروا القاسم كذا قال. ورواه أبو بكر بن المنذر فى تفسيره من طريقين عن النعمان بن محمد بن الفضل السدوسى ولقبه عارم: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب عن ابن أبى مليكة، عن عائشة به. وقد رواه ابن أبى حاتم فقال: حدثنا أبى، حدثنا أبو الوليد الطيالسى، حدثنا يزيد بن إبراهيم التسترى وحماد بن سلمة، عن ابن أبى مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ، عن قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ فقال رسول الله ﷺ «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

وقال ابن جرير [(٥)]: حدثنا على بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: نزع رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، فقال رسول الله ﷺ «قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاحذروهم» ورواه ابن مردويه من طريق أخرى عن القاسم عن عائشة به، وقال الإمام أحمد [(٦)]: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد عن أبى غالب، قال: سمعت أبا أمامة يحدث النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ قال «هم الخوارج». وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال «هم الخوارج» وقد رواه ابن مردويه من غير وجه، عن أبى غالب عن أبى أمامة مرفوعًا فذكره، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابى، ومعناه صحيح، فإن أول بدعة وقعت فى الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبى ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة، ففاجئوه بهذه المقالة، فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة - بقر الله خاصرته -: اعدل فإنك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ «لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى». فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب، وفى رواية خالد بن الوليد، فى قتله، فقال «دعه فانه يخرج من ضئضىء هذا، أى من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الدين كما

---

(١) البخاري (٤٥٤٧).
(٢) مسلم (٢٦٦٥).
(٣) أبو داود (٤٥٩٨).
(٤) الترمذي (٢٩٩٤).
(٥) في التفسير (٦/ ١٩٢).
(٦) في المسند (٢١٧٥٦).

يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرًا لمن قتلهم»[١] ثم كان ظهورهم أيام على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتلهم بالنهروان، ثم تشعبت منهم شعوب، وقبائل وآراء، وأهواء، ومقالات، ونحل كثيرة منتشرة، ثم نبعت القدرية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ فى قوله «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابى»، أخرجه الحاكم فى مستدركه[٢] بهذه الزيادة.

وقال الحافظ أبو يعلى[٣]: حدثنا أبو موسى حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا المعتمر عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن بن جندب بن عبد الله، أنه بلغه عن حذيفة، أو سمعه منه، يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر «إن فى أمتى قومًا يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله» لم يخرجوه.

وقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اختلف القراء فى الوقف ههنا.، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد فى فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله، ويروى هذا القول عن عائشة وعروة وأبى الشعثاء وأبى نَهيك وغيرهم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم فى المعجم الكبير[٤]: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثنى أبى، حدثنى ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبى مالك الأشعرى، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ الآية، وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه» غريب جدًا. وقال ابن مردويه[٥]: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا ابن أبى حازم، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن ابن العاص، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به» وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه، قال: كان ابن عباس يقرأ: وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون آمنا به، وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله، وحكى ابن جرير أن فى قراءة عبد الله بن مسعود: إن تأويله إلا عند الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به، وكذا عن أبى بن كعب، واختار ابن جرير هذا القول.

---

(١) البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) حسن: «المستدرك» (١/ ٢١٨)، برقم (٤٤٤).

(٣) رجاله ثقات: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩)، ولم يعزه لغير أبي يعلى، وهو في «المطالب العالية» (٣٥٣٠)، وقال البوصيرى: رواته ثقات.

(٤) الطبراني في «الكبير» (٣/ ٣٣٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٣)، وقال: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

(٥) حسن: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٩٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٩) إلى ابن مردويه.

ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد، وقد روى ابن أبى نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله، وقال ابن أبى نجيح، عن مجاهد: والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وكذا قال الربيع بن أنس، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ الذى أراد ما أراد ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضًا، فنفذت الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودفع به الكفر، وفى الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس، فقال «اللّهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»(١) ومن العلماء من فصل فى هذا المقام وقال: التأويل يطلق، ويراد به فى القرآن معنيان: أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشىء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقوله ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾[الأعراف: ٥٣] أى حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشىء كقوله ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾[يوسف: ٣٦]أى بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هى عليه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالاً منهم، وساغ هذا، وأن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[الحشر: ٨] - إلى قوله - ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾[الحشر: ١٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[الفجر: ٢٢] أى وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفًا.

وقوله إخبارًا عنهم إنهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، أى المتشابه، ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ أى الجميع من المحكم، والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له، لأن الجميع من عند الله وليس شىء من عند الله بمختلف ولا متضاد، كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[النساء: ٨٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أى إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعانى على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة، وقد قال ابن أبى حاتم(٢): حدثنا محمد بن عوف الحمصى، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا فياض الرقى، حدثنا عبد الله بن يزيد وكان قد أدرك أصحاب النبى ﷺ أنسًا وأبا أمامة وأبا الدرداء رضى الله عنهم قال: حدثنا أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين فى العلم، فقال: «من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن أعفّ بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين فى العلم».

(١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
(٢) ضعيف جدًا: ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٩)، والطبري (٣/ ١٨٤). وفيه عبد الله بن يزيد قال أحمد عنه: أحاديثه موضوعة. وقال «الجوزجاني» أحاديثه منكرة.

وقال الإمام أحمد [١] : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهرى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارؤون، فقال «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه» وتقدم رواية ابن مردويه لهذا الحديث من طريق هشام بن عمار، عن ابن أبى حازم، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب به، وقد قال أبو يعلى [٢] أحمد بن علي بن المثنى الموصلى فى مسنده: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أنس بن عياض، عن أبى حازم، عن أبى سلمة، قال: لا أعلمه إلا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال «نزل القرآن على سبعة أحرف، والمراء فى القرآن كفر - قالها ثلاثًا - ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه جل جلاله» وهذا إسناد صحيح، ولكن فيه علة بسبب قول الراوى «لا أعلمه إلا عن أبى هريرة». وقال ابن المنذر فى تفسيره: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا ابن وهب، قال: أخبرنى نافع بن يزيد، قال: يقال: الراسخون فى العلم المتواضعون لله، المتذللون لله فى مرضاته، لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي إنما يعقل ويفهم ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة ثم قال تعالى مخبرًا عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، أى لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين فى قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أى من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

قال ابن أبي حاتم [٣] : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، قالا جميعًا: حدثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أن النبى ﷺ كان يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» ثم قرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝﴾ ورواه ابن مردويه من طريق محمد بن بكار، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، وهى أسماء بنت يزيد بن السكن، سمعها تحدث: إن رسول الله ﷺ، كان يكثر من دعائه «اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبى على دينك» قالت قلت: يا رسول الله، وإن القلب ليتقلب؟ قال: «نعم، ماخلق الله من بنى آدم من بشر إلا قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه» [٤] فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب - وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى، عن عبد الحميد بن بهرام به مثله، ورواه أيضًا عن المثنى عن الحجاج بن منهال عن عبد الحميد بن

(١) حسن: في المسند (٦٧٠٢)، وانظر مشكاة المصابيح.
(٢) صحيح: أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٠٤) برقم (٦٠١٦)، وانظر صحيح الجامع (١٤٩٥).
(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٨٤) ، برقم (١٤٥).
(٤) حسن لغيره: والجملة الأولى ثابتة بأسانيد صحيحة أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) وحسنه، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٢)، والطبرى (٣/ ١٨٧)، وفي إسناده شهر بن حوشب كثير الإرسال والأوهام وبقية رجاله ثقات، وله شاهد من حديث عائشة: أخرجه أحمد، برقم (٢٥٦٠٢).

بهرام به مثله، وزاد: «قلت يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: «بلى، قولي اللَّهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن».

ثم قال ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي، حدثنا العباس بن الوليد الخلال، أخبرنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله، أخبرنا سعيد بن بشير عن قتادة، عن حسان الأعرج، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء، فقال «ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝﴾» غريب من هذا الوجه، ولكن أصله ثابت في الصحيحين[(١)] وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة، وقد رواه أبو داود والنسائي وابن مردويه[(٢)] من حديث أبي عبد الرحمن المقري، زاد النسائي وابن حبان وعبد الله بن وهب كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب: حدثني عبد الله بن الوليد التجيبي عن سعيد بن المسيب، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال «لا إله إلا أنت، سبحانك، اللَّهم إني أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك، اللَّهم زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» لفظ ابن مردويه.

وقال عبد الرزاق[(٣)] عن مالك عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن عبادة بن نسي أنه أخبره أنه سمع قيس بن الحارث يقول: أخبرني أبو عبد الله الصنابحي أنه صلى وراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه المغرب، فقرأ أبو بكر في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصل، وقرأ في الركعة الثالثة، قال: فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية. قال أبو عبيد: وأخبرني عبادة بن نسي أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته، فقال عمر لقيس: كيف أخبرتني عن أبي عبد الله؟ قال عمر: فما تركناها منذ سمعناها منه وإن كنت قبل ذلك لعلى غير ذلك، فقال له رجل: على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك، قال: كنت أقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم عن مالك والأوزاعي، كلاهما عن أبي عبيد به، وروى هذا الأثر الوليد أيضًا عن ابن جابر، عن يحيى بن يحيى الغساني، عن محمود بن لبيد، عن الصنابحي، أنه صلى خلف أبي بكر المغرب، فقرأ في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة يجهر بالقراءة، فلما قام إلى الثالثة، ابتدأ القراءة، فدنوت منه حتى إن ثيابي لتمس ثيابه، فقرأ هذه الآية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ الآية.

وقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي يقولون في دعائهم: إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزي كلًا بعمله وما كان عليه في الدنيا من خير وشر.

---

(١) مسلم (٢٦٤٥)، من حديث عمرو بن العاص.

(٢) ضعيف: أبو داود (٥٠٦١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٨٦٥). وانظر ضعيف أبي داود.

(٣) في المصنف (٢/ ١٠٩) برقم (٢٦٩٨).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ⑩ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ⑪﴾

يخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله، ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥] وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، وقال ههنا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بآيات الله، وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه، ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ أي حطبها الذي تسجر به، وتوقد به، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨].

وقال ابن أبي حاتم [(١)]: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، أخبرني ابن الهاد عن هند بنت الحارث، عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس، قالت: بينما نحن بمكة، قام رسول الله ﷺ من الليل فنادى «هل بلغت اللَّهم، هل بلغت» ثلاثًا، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نعم، ثم أصبح فقال رسول الله ﷺ «ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى مواطنه، ولتخوضنّ رجال البحارَ بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرءونه، ثم يقولون: قد قرأنا وعلمنا، فمن هذا الذي هو خير منا، فهل في أولئك من خير؟» قالوا: يا رسول الله، فمن أولئك؟ قال «أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار» وكذا رأيته بهذا اللفظ وقد رواه ابن مردويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن هند بنت الحارث امرأة عبد الله بن شداد، عن أم الفضل، أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة، فقال «هل بلغت» يقولها ثلاثًا فقام عمر بن الخطاب وكان أواها، فقال: اللَّهم نعم، وحرصت، وجهدت، ونصحت، فاصبر فقال النبي ﷺ «ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه، وليخوضن رجال البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يقرءون القرآن، فيقرءونه ويعلمونه، فيقولون: قد قرأنا وقد علمنا فمن هذا الذي هو خير منا؟ فما في أولئك من خير» قالوا: يا رسول الله، فمن أولئك؟ قال «أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار» ثم رواه من طريق موسى بن عبيد، عن محمد بن إبراهيم عن بنت الهاد عن العباس بن عبد المطلب بنحوه.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: كصنيع آل فرعون، وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد، ومنهم من يقول: كسنة آل فرعون، وكفعل آل فرعون، وكشبه آل فرعون، والألفاظ متقاربة، والدأب بالتسكين والتحريك أيضًا كنهر ونهر، هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة، كما يقال لا يزال هذا دأبي ودأبك، وقال امرؤ القيس:

وقوفًا بها صحبي على مطيهم   يقولون لا تأسف أسى وتجمل

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٩٠) برقم (١٥٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٩١) وقال: رجاله ثقات إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعية لم أر من وثقها ولا من جرحها.

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

والمعنى كعادتك فى أم الحويرث حين أهلكت نفسك فى حبها وبكيت دارها ورسمها، والمعنى فى الآية أن الكافرين لا تغنى عنهم الأموال ولا الأولاد، بل يهلكون ويعذبون كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤوا به من آيات الله وحججه، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أى شديد الأخذ أليم العذاب لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء، بل هو الفعال لما يريد الذى قد غلب كل شيء وذلّ له كل شى، لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾

يقول تعالى: قل يا محمد للكافرين ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ أى فى الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أى يوم القيامة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار [(١)] عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب، ورجع إلى المدينة، جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع، وقال «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا». فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله فى ذلك قوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد رواه محمد بن إسحاق أيضًا، عن محمد بن أبى محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس، فذكره، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أى قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم ﴿آيَةٌ﴾، أى دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومعل أمره ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ أى طائفتين ﴿الْتَقَتَا﴾ أى للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسلمون ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر، وقوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم فى العدد رأى أعينهم، أى جعل الله ذلك فيما رأوه سببًا لنصرة الإسلام عليهم، وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة، وهى أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذٍ قبل القتال يَحْزِر لهم المسلمين، فأخبرهم بأنهم ثلثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، وهكذا كان الأمر. كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم.

(والقول الثانى) أن المعنى فى قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ أى ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم، أى ضعفيهم فى العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفى عن ابن عباس: أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلاً وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين

---

(١) ضعيف: ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٦١)، وعاصم بن عمر بن قتادة تابعي؛ فالحديث مرسل.

تسعمائة إلى ألف، كما رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أن رسول الله ﷺ، لما سأل ذلك العبد الأسود لبنى الحجاج عن عدة قريش قال: كثير، قال «كم ينحرون كل يوم» ؟ قال: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال النبى ﷺ «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف»[1]. وروى أبو إسحاق السبيعى، عن حارثة، عن على رضى الله عنه، قال: كانوا ألفًا، وكذا قال ابن مسعود. والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وعلى كل تقدير كانوا ثلاثة أمثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول، والله أعلم.

لكن وجه ابن جرير هذا وجعله صحيحًا كما تقول: عندى ألف، وأنا محتاج إلى مثليها، وتكون محتاجًا إلى ثلاثة آلاف، كذا قال، وعلى هذا فلا إشكال، لكن بقى سؤال آخر وهو وارد على القولين، وهو أن يقال: ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى قصة بدر ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤] فالجواب أن هذا كان فى حالة والآخر كان فى حالة أخرى، كما قال السدى عن الطيب عن ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ الآية، قال: هذا يوم بدر. قال عبد الله بن مسعود: وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلًا واحدًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] الآية.

وقال أبو إسحاق عن أبى عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبى: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلًا منهم، فقلنا، كم كنتم؟ قال: ألفًا، فعندما عاين كل من الفريقين الآخر، رأى المسلمون المشركين مثليهم، أى أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل، ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع، ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان، قلل الله هؤلاء فى أعين هؤلاء، وهؤلاء فى أعين هؤلاء، ليقدم كل منهما على الآخر ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤] أى ليفرق بين الحق والباطل، فيظهر كلمة الإيمان على الكفر والطغيان، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وقال ههنا ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أى إن فى ذلك لمعتبر لمن له بصيرة وفهم يهتدى به إلى حكمة الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده المؤمنين فى هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

يخبر تعالى عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء، لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت فى الصحيح أنه ﷺ، قال «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرى في التفسير (٣/ ١٩٦)، وابن هشام في السيرة (٢/ ٤٤٩).

النساء»[١] فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه، مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب فى التزويج والاستكثار منه، «وإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء»[٢]، وقوله ﷺ «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله»[٣] وقوله فى الحديث الآخر «حبب إلى النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[٤].

وقالت عائشة رضى الله عنها: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من النساء إلا الخيل، وفى رواية من الخيل إلا النساء[٥]، وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة، فهو داخل فى هذا، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح كما ثبت فى الحديث «تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[٦] وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة فى القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح محمود شرعًا وقد اختلف المفسرون فى مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها أنه المال الجزيل كما قاله الضحاك وغيره، وقيل: ألف دينار، وقيل: ألف ومائتا دينار وقيل اثنا عشر ألفًا، وقيل: أربعون ألفًا، وقيل: ستون ألفًا، وقيل سبعون ألفًا، وقيل: ثمانون ألفًا، وقيل غير ذلك، وقد قال الإمام أحمد[٧]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عاصم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض»، وقد رواه ابن ماجه[٨] عن أبى بكر بن أبى شيبة عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة به، وقد رواه ابن جرير[٩] عن بندار، عن ابن مهدى، عن حماد بن زيد عن عاصم هو بن بهدلة، عن أبى صالح، عن أبى هريرة موقوفًا كرواية وكيع فى تفسيره حيث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان أبى صالح عن أبى هريرة قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، الأوقية خير مما بين السماء والأرض» هذا أصح، وهكذا رواه ابن جرير[١٠] عن معاذ بن جبل وابن عمر، وحكاه ابن أبى حاتم، عن أبى هريرة وأبى الدرداء، أنهم قالوا: القنطار ألف ومائتا أوقية، ثم قال ابن جرير رحمه الله: حدثنا زكريا بن يحيى الضرير، حدثنا شبابة، حدثنا مخلد بن عبد الواحد، عن على بن زيد، عن عطاء بن أبى ميمونة، عن زر بن حبيش،

---

(١) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، والترمذي (٢٧٨٠)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.
(٢) البخاري (٥٠٦٩)، وأحمد (٢٠٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٣٢٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٤) صحيح: أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد في مسنده (١١٨٨٤). وانظر «صحيح النسائي» للألباني.
(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/ ٣٦)، برقم (٤٤٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٦) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، وانظر صحيح أبي داود.
(٧) ضعيف: في المسند (٨٥٤٠)، وانظر السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٧٦).
(٨) ابن ماجه (٣٦٦٠). (٩) في التفسير (٦/ ٢٤٤).
(١٠) في التفسير (٣/ ١٩٩)، وإسناده ضعيف، فيه مخلد بن عبد الواحد قال ابن حبان: منكر الحديث جدًا، يتفرد بمناكير لا تشبه حديث الثقات.

عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية».

وهذا حديث منكر أيضًا، والأقرب أن يكون موقوفًا على أبى بن كعب كغيره من الصحابة وقد روى ابن مردويه من طريق موسى بن عبيدة الربذى، عن محمد بن إبراهيم، عن يحَنّش أبى موسى، عن أم الدرداء، عن أبى الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية إلى ألف، أصبح له قنطار من أجر عند الله، القنطار منه مثل الجبل العظيم»[1] ورواه وكيع عن موسى بن عبيدة بمعناه، وقال الحاكم فى مستدركه[2]: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد اللخمى بتَنّيس، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، حدثنا زهير بن محمد، حدثنا حميد الطويل ورجل آخر، عن أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾؟ قال «القنطار ألفا أوقية» صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، هكذا رواه الحاكم، وقد رواه ابن أبى حاتم بلفظ آخر فقال: أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقى، أنبأنا عمرو بن أبى سلمة، أنبأنا زهير يعنى ابن محمد، أنبأنا حميد الطويل، ورجل آخر قد سماه يعنى يزيد الرقاشى، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، فى قوله «قنطار يعنى ألف دينار» وهكذا رواه ابن مردويه والطبرانى عن عبد الله بن محمد ابن أبى مريم، عن عمرو بن أبى سلمة، فذكر بإسناده مثله سواء، وروى ابن جرير عن الحسن البصرى عنه مرسلاً وموقوفًا عليه: القنطار ألف ومائتا دينار، وهو رواية العوفى عن ابن عباس.

وقال الضحاك: من العرب من يقول: القنطار ألف دينار ومائتا دينار، ومنهم من يقول: اثنا عشر ألفًا، وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا عارم عن حماد عن سعيد الجَريرى، عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى، قال: القنطار ملء مسك الثور ذهبًا، قال أبو محمد: ورواه محمد بن موسى الحرشى عن حماد بن زيد مرفوعًا، والموقوف أصح.

(وحب الخيل على ثلاثة أقسام) تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء يثابون، وتارة تربط فخرًا ونواء لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها، ولم ينس حق الله فى رقابها فهذه لصاحبها ستر كما سيأتى الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية، وأما المسومة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما: المسومة الراعية، والمطهمة الحسان، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبزى والسدى والربيع بن أنس وأبى سنان وغيرهم، وقال مكحول: المسومة الغرة والتحجيل وقيل: غير ذلك وقد قال الإمام أحمد[3]: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن أبى حبيب، عن سويد بن قيس، عن معاوية بن خديج، عن أبى ذر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول: اللَّهم إنك خولتنى من خولتنى من بنى آدم، فاجعلنى من أحب

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ: فيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، لكن الحديث ثابت بلفظ آخر «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين...» أخرجه أبو داود (١٣٩٨).

(٢) موضوع: المستدرك (٢/ ١٩٤) برقم (٢٧٣١). وانظر ضعيف الجامع برقم (٤١٤٣).

(٣) صحيح: في المسند (٢٠٩٨٦)، وانظر صحيح الجامع برقم (٢٤١٤).

ماله وأهله إليه، أو أحب أهله وماله إليه» وقوله تعالى ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم، ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ يعنى الأرض المتخذة للغراس والزراعة، وقال الإمام أحمد (١): حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو نعامة العدوى، عن مسلم بن بديل، عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة، عن النبى ﷺ، قال «خير مال امرىء له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» المأمورة: الكثيرة النسل، والسكة: النخل المصطف، والمأبورة: الملقحة.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ أى حسن المرجع والثواب.

وقد قال ابن جرير (٢): حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن عطاء، عن أبى بكر بن حفص بن عمر بن سعد. قال: قال عمر بن الخطاب لما نزلت ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا، فنزلت ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ﴾ أى قل يا محمد للناس: أأخبركم بخير مما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها الذى هو زائل لا محالة، ثم أخبر عن ذلك فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أى تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أى ماكثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولا، ﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ أى من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس وغير ذلك مما يعترى نساء الدنيا ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أى يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى التى فى براءة ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢] أى أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ أى يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أى بك وبكتابك وبرسولك، ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أى بإيماننا بك وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أى فى قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة، ﴿وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ والقنوت الطاعة والخضوع ﴿وَٱلۡمُنفِقِينَ﴾ أى من أموالهم فى جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقرابات، وسد الخلات، ومواساة ذوى الحاجات ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ دلّ على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار، وقد قيل: إن يعقوب عليه السلام، لما قال لبنيه ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾ [يوسف: ٩٨] إنه أخرهم إلى وقت السحر وثبت فى الصحيحين وغيرهما من

(١) ضعيف: في المسند (١٥٤١٨)، وانظر ضعيف الجامع (٢٩٢٦).

(٢) في التفسير (٣/ ١٩٩).

المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة، إن رسول الله ﷺ، قال «ينزل الله تبارك وتعالى فى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»[1] الحديث، وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطنى فى ذلك جزءًا على حدة، فرواه من طرق متعددة، وفى الصحيحين[2] عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر»، وكان عبد الله بن عمر يصلى من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح، رواه ابن أبى حاتم.

وقال ابن جرير[3]: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبى عن حريث بن أبى مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه، قال: سمعت رجلًا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول: يا رب، أمرتنى فأطعتك، وهذا السحر فاغفر لى، فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضى الله عنه. وروى ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر فى آخر السحر سبعين مرة.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

شهد تعالى وكفى به شهيدًا وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه وفقراء إليه، وهو الغنى عما سواه، كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية، ثم قرن شهادة ملائكته وأولى العلم بشهادته، فقال ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء فى هذا المقام ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ منصوب على الحال وهو فى جميع الأحوال كذلك ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما سبق، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز الذى لا يرام جنابه عظمةً وكبرياءً، الحكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وقال الإمام أحمد[4]: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بقية بن الوليد حدثنى جبير بن عمرو القرشى، حدثنا أبو سعيد الأنصارى عن أبى يحيى مولى آل الزبير بن العوام، عن الزبير بن العوام، قال: سمعت النبى ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ وأنا على ذلك من الشاهدين يا رب، وقد رواه ابن أبى حاتم

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، والترمذي (٤٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥).
(٣) ضعيف: في التفسير (٣/ ٢٠٨) برواية ابن جرير عن ابن وكيع وهو ضعيف.
(٤) في المسند (١٣٢٤).

من وجه آخر فقال: حدثنا على بن حسين، حدثنا محمد بن المتوكل العسقلانى، حدثنا عمر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصارى، حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير، قال سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قال: «وأنا أشهد أى رب».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى المعجم الكبير (١): حدثنا عبدان بن أحمد وعلى بن سعيد الرازى، قالا: حدثنا عمار بن عمر بن المختار، حدثنى أبى، حدثنى غالب القطان قال: أتيت الكوفة فى تجارة، فنزلت قريبًا من الأعمش، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجد من الليل فمر بهذه الآيـــة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ قالها مرارًا، قلت: لقد سمع فيها شيئًا فغدوت إليه فودعته ثم قلت: يا أبا محمد، إنى سمعتك تردد هذه الآية، قال: أوما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثنى. قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكنت على بابه، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد، قد مضت السنة قال: حدثنى أبو وائل عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدى عهد إلى وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدى الجنة»، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهواتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقى الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية [آل عمران: ٨٥]، وقال فى هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل عنده فى الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، بكسر إنه، وفتح أن الدين عند الله الإسلام، أى شهد هو والملائكة وأولوا العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام، والجمهور قرءوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر، والله أعلم، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول، إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أى بغى بعضهم على بعض فاختلفوا فى الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته فى جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقًا، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أى من جحد ما أنزل الله فى كتابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أى فإن الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه.

ثم قال تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أى جادلوك فى التوحيد ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أى فقل:

---

(١) ضعيف جدًا: المعجم الكبير (١٠/ ١٩٩) برقم (١٠٤٥٣) فيه عمار بن عمر بن المختار عن أبيه وكلاهما ضعيف. انظر الضعفاء للعقيلى (٣/ ٣٢٥).

أخلصت عبادتى لله وحده لا شريك له ولا ند له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أى على دينى يقول كمقالتى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية، ثم قال تعالى آمرًا لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يدعو إلى طريقته ودينه والدخول فى شرعه وما بعثه الله به، الكتابيين من الملتين والأميين من المشركين، فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أى والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أى هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وما ذلك إلا لحكمته ورحمته وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة فى غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وفى الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه ﷺ بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بنى آدم من عربهم وعجمهم كتابيهم وأميهم امتثالاً لأمر الله له بذلك، وقد روى عبد الرزاق عن معمر، عن همام، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال «والذى نفسى بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة: يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم [(١)] وقال ﷺ «بعثت إلى الأحمر والأسود» [(٢)]، وقال «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» [(٣)].

وقال الإمام أحمد [(٤)]: حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه: أن غلامًا يهوديًا كان يضع للنبى ﷺ وضوءه، ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبى ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبى ﷺ «يا فلان قل لا إله إلا الله» فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه النبى ﷺ، فنظر إلى أبيه، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبى ﷺ وهو يقول «الحمد لله الذى أخرجه بى من النار» رواه البخارى [(٥)] فى الصحيح، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم فى تكذيبهم بآيات الله، قديمًا وحديثًا، التى بلغتهم إياها الرسل إستكبارًا عليهم، وعنادًا لهم، وتعاظمًا على الحق، واستنكافًا على

---

(١) مسلم (١٥٣). (٢) سبق تخريجه.
(٣) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٤) في المسند (١٢٣٨١). (٥) البخاري (١٣٥٦).

اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبى ﷺ «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(١) .

وقال ابن أبى حاتم(٢) : حدثنا أبو الزبير الحسن بن على بن مسلم النيسابورى نزيل مكة، حدثنى أبو حفص عمر بن حفص يعنى ابن ثابت بن زرارة الأنصارى، حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا أبو الحسن مولى لبنى أسد، عن مكحول، عن أبى قبيصة بن ذؤيب الخزاعى، عن أبى عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أى الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال «رجل قتل نبيًا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ الآية، ثم قال رسول الله ﷺ «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلًا من بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عبيد الوصابى محمد بن حفص، عن ابن حمير، عن أبى الحسن مولى بنى أسد، عن مكحول به، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار، وأقاموا سوق بقلهم من آخره، رواه ابن أبى حاتم. ولهذا لما أن تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار فى الدنيا، والعذاب المهين فى الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أى موجع مهين ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٢].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ، تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا فى غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أى إنما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم أنهم إنما يعذبون فى النار سبعة أيام عن كل ألف سنة فى الدنيا يومًا وقد تقدم تفسير ذلك فى سورة البقرة.

---

(١) مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢٠)، برقم (٣٣٣٢). وفيه أبو الحسن مولى لبني أسد مجهول كما في الجرح والتعديل. لكن أول الحديث ثابت بلفظ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة، رجل قتله نبي أو قتل نبيًا». وإسناده حسن.

ثم قال تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أى ثبتهم على دينهم الباطل، ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أيامًا معدودات، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانًا، قال الله تعالى متهددًا لهم ومتوعدًا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله، وكذبوا رسله، وقتلوا أنبياءه، والعلماء من قومهم، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والله تعالى سائلهم عن ذلك كله ومحاسبهم عليه ومجازيهم به، ولهذا قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ أى لا شك فى وقوعه وكونه، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد معظمًا لربك وشاكرًا له ومفوضًا إليه ومتوكلاً عليه ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أى لك الملك كله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ أى أنت المعطى، وأنت المانع، وأنت الذى ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن. وفى هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة، لأن الله تعالى حول النبوة من بنى إسرائيل إلى النبى العربى القرشى الأمى المكى، خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، الذى جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبيًا من الأنبياء، ولا رسولاً من الرسل فى العلم بالله وشريعته، وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه له عن حقائق الآخرة، ونشر أمته فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين ما تعاقب الليل والنهار.

ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، أى أنت المتصرف فى خلقك، الفعال لما تريد، كما رد تعالى على من يحكم عليه فى أمره حيث قال ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، قال الله ردًا عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية، أى نحن نتصرف فيما خلقنا كما نريد بلا ممانع ولا مدافع، ولنا الحكمة البالغة، والحجة التامة فى ذلك، وهكذا يعطى النبوة لمن يريد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] الآية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة إسحاق بن أحمد من تاريخه، عن المأمون الخليفة، أنه رأى فى قصر ببلاد الروم مكتوبًا بالحميرية، فعرب له، فإذا هو بسم الله ما اختلف الليل والنهار، ولا دارت نجوم السماء فى الفلك إلا بنقل النعيم عن ملك قد زال سلطانه إلى ملك. ومُلْكُ ذى العرش دائم أبدًا ليس بفان ولا بمشترك. وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أى تأخذ من طول هذا فتزيده فى قصر هذا، فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا فى هذا فيتفاوتان، ثم يعتدلان، وهكذا فى فصول السنة ربيعًا وصيفًا وخريفًا وشتاء، وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

obeikandl.com

أى تخرج الزرع من الحب، والحب من الزرع، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أى تعطى من شئت من المال ما لا يعد ولا يقدر على إحصائه، وتقتر على آخرين لما لك فى ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة والعدل.

قال الطبرانى (١): حدثنا محمد بن زكريا الغلابى، حدثنا جعفر بن جسْر بن فرقد، حدثنا أبى عن عمرو بن مالك، عن أبى الجوزاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ، قال: «اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾».

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أى ومن يرتكب نهى الله فى هذا، فقد برىء من الله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الآية [الممتحنة: ١] إلى أن قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١] وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أى إلا من خاف فى بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخارى عن أبى الدرداء: أنه قال: «إنا لنكشر فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم» (٢).

وقال الثورى: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفى عن ابن عباس: إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس. ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية.

وقال البخارى: قال الحسن: التقية إلى يوم القيامة، ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أى يحذركم نقمته فى مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعداءه، وعادى أولياءه. ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أى إليه المرجع والمنقلب ليجازى كل عامل بعمله. قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد عن ابن أبى حسين، عن عبد الرحمن بن سابط، عن

---

(١) موضوع: في الكبير (١٢/ ١٧١) برقم (١٢٧٩٢)، وانظر السلسلة الضعيفة، برقم (٢٧٧٢).
(٢) ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الأدب. عقب حديث (٦١٣٠).

عمرو بن ميمون، قال: قام فينا معاذ بن جبل، فقال: يا بنى أود، إنى رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الجنة أو إلى النار.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم فى سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات، وجميع ما فى الأرض والسموات لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك فى جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى وقدرته نافذة فى جميع ذلك، وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته لئلا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإن أنظر من أنظر منهم، فإنه يمهل، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال بعد هذا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية، يعنى يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير ومن شر، كما قال تعالى ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] فما رأى من أعماله حسنًا سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد، كما يقال لشيطانه الذى كان مقرونًا به فى الدنيا، وهو الذى جرأه على فعل السوء ﴿يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، ثم قال تعالى مؤكدًا ومهددًا ومتوعدًا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨] أى يخوفكم عقابه، ثم قال جل جلاله مرجيًا لعباده لئلا ييئسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ قال الحسن البصرى: من رأفته بهم حذرهم نفسه وقال غيره: أى رحيم بخلقه يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ
أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ، أنه قال «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[(١)] ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أى يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تحب. وقال الحسن البصرى وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ وقد قال ابن أبى حاتم[(٢)]: حدثنا أبى، حدثنا على بن محمد الطنافسى، حدثنا عبيد الله بن موسىٰ عن عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبى

---

(١) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) ضعيف جدًا: ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢٠٢) برقم (٣٧٦)، وانظر الضعيفة (٣٧٥٥).

كثير، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ «وهل الدين إلا الحب والبغض فى الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ قال أبو زرعة عبد الأعلى هذا منكر الحديث.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى باتباعكم الرسول ﷺ، يحصل لكم هذا كله من بركة سفارته، ثم قال تعالى آمرًا لكل أحد من خاص وعام ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أى خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته فى الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم فى نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبى الأمى خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، الذى لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم فى زمانه ما وسعهم إلا اتباعه، والدخول فى طاعته، واتباع شريعته، كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١]، إن شاء الله تعالى.

ربع الحزب ٦

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم عليه السلام خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شىء، وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها لما له فى ذلك من الحكمة، واصطفى نوحًا عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، لما عبد الناس الأوثان، وأشركوا با لله ما لم ينزل به سلطانًا، وانتقم له لما طالت مدته بين ظهرانى قومه يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، سرًا وجهارًا، فلم يزدهم ذلك إلا فرارًا، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذى بعثه الله به، واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الاطلاق محمد ﷺ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليه السلام. قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: هو عمران بن ياشم بن أمون ابن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن يويم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن أجريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إنشا بن أبيان بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام، فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم كما سيأتى بيانه فى سورة الأنعام، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

امرأة عمران هذه هى أم مريم عليها السلام، وهى حنة بنت فاقود قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يومًا طائرًا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولدًا، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها، فحملت منه، فلما تحققت الحمل، نذرت أن يكون محررًا أى خالصًا مفرغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أى السميع لدعائى العليم بنيتى، ولم تكن تعلم ما فى بطنها: أذكرًا أم أنثى؟ ﴿فَلَمَّا

وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرىء برفع التاء، على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرىء بتسكين التاء، على أنه من قول الله عز وجل، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دليل على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق لأنه شرع من قبلنا، وقد حكى مقررًا، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ حيث قال «ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» أخرجاه[١] ، وكذلك ثبت فيهما : أن أنس بن مالك ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ، وفي صحيح البخاري[٢] : أن رجلًا قال: يا رسول الله ولد لي الليلة ولد فما أسميه؟ قال «اسم ولدك عبد الرحمن»، وثبت في الصحيح أيضًا: أنه لما جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه، فذهل عنه، فأمر به أبوه، فرده إلى منزلهم، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر ، فأما حديث قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ ، قال «كل غلام رهين بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه» فقد رواه أحمد وأهل السنن[٣] ، وصححه الترمذي بهذا اللفظ، وروى: ويُدَمّى، وهو أثبت وأحفظ، والله أعلم.

وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب أن رسول الله ﷺ ، عق عن ولده إبراهيم يوم سابعه وسماه إبراهيم، فإسناده لا يثبت، وهو مخالف لما في الصحيح، ولو صح لحمل على أنه أَشْهَرَ اسمه بذلك يومئذ، والله أعلم، وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام، فاستجاب الله لها ذلك، كما قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إياه، إلا مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ، أخرجاه[٤] من حديث عبد الرزاق، ورواه ابن جرير[٥] عن أحمد بن الفرج، عن بقية، عن الزبيدي، عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه، وروى من حديث قيس، عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرةً أو عصرتين، إلا عيسى ابن مريم ومريم» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة. ورواه ابن وهب أيضًا، عن ابن أبي ذئب، عن عجلان مولى المشمعِلّ، عن أبي هريرة. ورواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بأصل الحديث. وهكذا رواه الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «كل

(١) البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥). (٢) البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٣٣).

(٣) صحيح: أحمد في مسنده (١٩٥٧٩)، وأبو داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٢٢)، والنسائي (٤٢٢٠)، وابن ماجه (٣١٦٥)، وانظر إرواء الغليل برقم (١١٦٥).

(٤) البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦). (٥) في التفسير (٣/ ٢٣٩).

بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب»(١) .

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أى جعلها شكلاً مليحًا ومنظرًا بهيجًا، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين، فلهذا قال «وكَفَلَها زكريا» وفى قراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء، ونصب زكريا على المفعولية، أى جعله كافلاً لها. قال ابن إسحاق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة. وذكر غيره: أن بنى إسرائيل أصابتهم سنة جدب، فكفل زكريا مريم لذلك، ولا منافاة بين القولين والله أعلم. وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علمًا جمًا نافعًا وعملاً صالحًا، ولأنه كان زوج خالتها على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما، وقيل: زوج أختها، كما ورد فى الصحيح «فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة»(٢) وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضًا توسعًا، فعلى هذا كانت فى حضانة خالتها وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قضى فى عمارة بنت حمزة أن تكون فى حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبى طالب، وقال «الخالة بمنزلة الأم»(٣) ، ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها فى محل عبادتها، فقال ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعى والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفى والسدى: يعنى وجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء، وفاكهة الشتاء فى الصيف.

وعن مجاهد ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ أى علمًا، أو قال: صحفًا فيها علم، رواه ابن أبى حاتم، والأول أصح وفيه دلالة على كرامات الأولياء. وفى السنة لهذا نظائر كثيرة، فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أى يقول من أين لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلى(٤) : حدثنا سهل بن زنجلة، حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، أن رسول الله ﷺ ، أقام أيامًا لم يطعم طعامًا حتى شق ذلك عليه، فطاف فى منازل أزواجه، فلم يجد عند واحدة منهن شيئًا، فأتى فاطمة فقال «يا بنية هل عندك شىء آكله، فإنى جائع؟» قالت: لا والله - بأبى أنت وأمى - فلما خرج من عندها، بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها، فوضعته فى جفنة لها، وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسى ومن عندى، وكانوا جميعًا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسنًا أو حسينًا إلى رسول الله ﷺ ، فرجع إليها، فقالت له: بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشىء فخبأته لك. قال «هلمى

(١) في التفسير (٣/ ٤٢٠).
(٢) البخاري (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة.
(٣) البخاري (٢٧٠٠) من حديث البراء بن عازب.
(٤) أبو يعلى كما في المطالب العالية (٤/ ٧٣).

يا بنية» . قالت : فأتيته بالجفنة ، فكشف عنها ، فإذا هى مملوءة خبزًا ولحمًا ، فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله ، فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله ، فلما رآه حمد الله وقال «من أين لك هذا يا بنية» ؟ قالت : يا أبت ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فحمد الله وقال «الحمد الله الذى جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل ، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئًا وسئلت عنه ، قالت : ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فبعث رسول الله ﷺ إلى على ، ثم أكل رسول الله ﷺ ، وأكل على وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبى ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا جميعًا ، قالت : وبقيت الجفنة كما هى ، قالت : فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران ، وجعل الله فيها بركة وخيرًا كثيرًا .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا
وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ
قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، طمع حينئذ فى الولد وكان شيخًا كبيرًا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبًا ، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا ، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيًا ، وقال ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ أى من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أى ولدًا صالحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ . قال تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ أى خاطبته الملائكة شفاهًا خطابًا ، أسمعته وهو قائم يصلى فى محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته . ثم أخبر تعالى عما بشرته به الملائكة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا﴾ أى بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى . قال قتادة وغيره : إنما سمى يحيى لأن الله أحياه بالإيمان .

وقوله ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ . روى العوفى وغيره عن ابن عباس ، وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيره فى هذه الآية ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أى بعيسى ابن مريم . وقال الربيع بن أنس : هو أول من صدق بعيسى ابن مريم . وقال قتادة : وعلى سننه ومنهاجه . وقال ابن جريج : قال ابن عباس فى قوله ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ، قال : كان يحيى وعيسى ابنى خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إنى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك ، فذلك تصديقه له فى بطن أمه ، وهو أول من صدق عيسى ، وكلمة الله عيسى ، وهو أكبر من عيسى عليه السلام ، وهكذا قال السدى أيضًا .

قوله : ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم : الحكيم . قال قتادة : سيدًا فى العلم والعبادة . وقال ابن عباس والثورى والضحاك : السيد الحكيم التقى . قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العالم . وقال عطية : السيد فى خلقه ودينه . وقال عكرمة : هو الذى لا

يغلبه الغضب. وقال ابن زيد: هو الشريف. وقال مجاهد وغيره: هو الكريم على الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ روى عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى الشعثاء وعطية العوفى، أنهم قالوا: الذى لا يأتى النساء. وعن أبى العالية والربيع بن أنس: هو الذى لا يولد له وقال الضحاك: هو الذى لا ولد له ولا ماء له. وقال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا أبى، حدثنا يحيى بن المغيرة، أنبأنا جرير عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس فى الحصور: الذى لا ينزل الماء. وقد روى ابن أبى حاتم فى هذا حديثًا غريبًا جدًا، فقال: حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادى، حدثنى سعيد بن سليمان، حدثنا عباد يعنى ابن العوام، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن ابن العاص - لا يدرى عبد الله أو عمرو - عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال: ثم تناول شيئًا من الأرض، فقال «كان ذكره مثل هذا» ثم قال ابن أبى حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصارى، أنه سمع سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا. ثم قرأ سعيد ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ ثم أخذ شيئًا من الأرض، فقال: الحصور من كان ذكره مثل ذى. وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف أصبعه السبابة، فهذا موقوف أصح إسنادًا من المرفوع بل وفى صحة المرفوع نظر والله أعلم.

ورواه ابن المنذر فى تفسيره: حدثنا أحمد بن داود السمنانى، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا على بن مسهر، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ «ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا، فإن الله يقول ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال: «وإنما ذكره مثل هدبة الثوب» وأشار بأنملته.

وقال ابن أبى حاتم [(٢)]: حدثنا أبى، حدثنا عيسى بن حماد ومحمد بن سلمة المرادى قالا: حدثنا حجاج بن سليمان المقرى عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع، عن أبى صالح، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال «كل ابن آدم يلقى الله بذنب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه، إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين» ثم أهوى النبى ﷺ إلى قذاة من الأرض، فأخذها وقال: «وكان ذكره مثل هذه القذاة».

وقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفاء: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿وَحَصُورًا﴾ ليس كما قاله بعضهم إنه كان هيوبًا أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب، ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أى لا يأتيها كأنه حُصِر عنها. وقيل مانعًا نفسه من الشهوات. وقيل ليست له شهوة فى النساء، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل فى كونها موجودة، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام، ثم هى فى حق من قدر عليها، وقام بالواجب فيها، ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهى درجة نبينا ﷺ الذى لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه

(١) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٣). (٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٢٤٨).

هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال: «حبب إلي من دنياكم»[(١)] هذا لفظه، والمقصود أنه مدح ليحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه حصور عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدًا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقوله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته، وهي أعلى من الأولى، كقوله لأم موسى ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فلما تحقق زكريا عليه السلام هذه البشارة، أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ﴾ أي الملك ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي هكذا أمر الله عظيم، لا يعجزه شيء، ولا يتعاظمه أمر، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي علامة أستدل بها على وجود الولد مني ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح، كما في قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠] ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

وسيأتي طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم، إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك، أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانيًا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين، قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده، ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط» ولم يخرجه من هذا الوجه سوى مسلم[(٢)]، فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به، وقال هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد» أخرجاه في الصحيحين[(٣)] من حديث هشام به مثله، وقال الترمذي[(٤)]: حدثنا أبو بكر بن زنجويه، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة

---

(١) سبق تخريجه. (٢) مسلم (٢٥٢٧).

(٣) البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠).

(٤) صحيح: الترمذي (٣٨٧٨)، وانظر صحيح الجامع برقم (٣١٤٣).

بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» تفرد به الترمذى وصححه، قال عبد الله بن أبى جعفر الرازى، عن أبيه، قال: كان ثابت البنانى يحدث عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، قال «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله» رواه ابن مردويه، وروى ابن مردويه من طريق شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(١)].

وقال ابن جرير: حدثنى المثنى، حدثنا آدم العسقلانى، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة، سمعت مرة الهمدانى، يحدث عن أبى موسى الأشعرى، قال: قال رسول الله ﷺ «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»[(٢)].

وقد أخرجه الجماعة[(٣)] إلا أبا داود من طرق عن شعبة به، ولفظ البخارى «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه فى قصة عيسى ابن مريم عليه السلام فى كتابنا البداية والنهاية، ولله الحمد والمنة. ثم أخبر تعالى عن الملائكة أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والركوع والسجود والدأب فى العمل، لما يريد الله بها من الأمر الذى قدره الله وقضاه مما فيه محنة لها، ورفعة فى الدارين بما أظهر الله فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولدًا من غير أب، فقال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أما القنوت فهو الطاعة فى خشوع، كما قال تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقد قال ابن أبى حاتم[(٤)]: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث، أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال «كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة». ورواه ابن جرير من طريق ابن لهيعة عن دراج به، وفيه نكارة. وقال مجاهد: كانت مريم عليها السلام تقوم حتى تتورم كعباها والقنوت هو طول الركوع فى الصلاة، يعنى امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾.

قال الحسن: يعنى اعبدى لربك، ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أى كونى منهم وقال الأوزاعى: ركدت فى محرابها راكعة وساجدة وقائمة، حتى نزل الماء الأصفر فى قدميها رضى الله عنها وأرضاها. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكديمى، وفيه مقال: حدثنا على بن بحر بن برى، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير، فى قوله ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾ قال: سجدت حتى نزل الماء الأصفر فى عينيها.

---

(١) لم أقف على إسناد هذه الرواية التى تحدد العدد بثلاث، وانظر الحديث الذى بعده والذي يليه.
(٢) في التفسير (٦/ ٣٩٧).
(٣) البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، والترمذي (١٨٣٥)، وابن ماجه (٣٢٨٠).
(٤) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٤٨).

وذكر ابن أبى الدنيا: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب، قال: كانت مريم عليها السلام، تغتسل فى كل ليلة. ثم قال تعالى لرسوله بعد ما أطلعه على جلية الأمر ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أى نقصه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أى ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عنهم معاينة عما جرى بل أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم حين اقترعوا فى شأن مريم أيهم يكفلها، وذلك لرغبتهم فى الأجر. قال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنى حجاج عن ابن جريج، عن القاسم بن أبى بزة، أنه أخبره عن عكرمة، وأبى بكر عن عكرمة، قال: ثم خرجت بها، يعنى أم مريم بمريم تحملها، فى خرقها إلى بنى الكاهن بن هارون أخى موسى عليهما السلام، قال: وهم يومئذ يلون فى بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فإنى حررتها، وهى أنثى، ولا يدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردها إلى بيتى، فقالوا: هذه ابنة إمامنا، وكان عمران يؤمهم فى الصلاة، وصاحب قرباننا، فقال زكريا: ادفعوها لى فإن خالتها تحتى، فقالوا: لا تطيب أنفسنا، هى ابنة إمامنا، فذلك حين اقترعوا عليها بأقلامهم التى يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا فكفلها وقد ذكر عكرمة أيضًا والسدى وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد، دخل حديث بعضهم فى بعض، أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن، واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فأيهم يثبت فى جَرْيَة الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم، فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت ويقال إنه ذهب صاعدًا يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالمهم وإمامهم ونبيهم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بأن سيوجد منها ولد عظيم له شأن كبير. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أى بولد يكون وجوده بكلمة من الله، أى يقول له: كن فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] كما ذكر الجمهور على ما سبق بيانه ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أى يكون مشهورًا بهذا فى الدنيا، ويعرفه المؤمنون بذلك وسمى المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، لا أخمص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوى العاهات برئ، بإذن الله تعالى.

وقوله -تعالى-: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة إلى أمه حيث لا أب له. ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أى له وجاهة ومكانة عند الله فى الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به، وفى الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه أسوة بإخوانه من أولى العزم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ

﴿وَكَهْلًا﴾ أى يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له فى حال صغره، معجزة وآية، وفى حال كهولته حين يوحى الله إليه بذلك ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أى فى قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح.

قال محمد بن إسحاق: عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن محمد بن شرحبيل، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ما تكلم مولود فى صغره إلا عيسى وصاحب جريج» وقال ابن أبى حاتم[1]: حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قزعة، حدثنا الحسين يعنى المروزى، حدثنا جرير يعنى ابن أبى حازم، عن محمد، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ ، قال «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى، وصبى كان فى زمن جريج، وصبى آخر» فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك عن الله عز وجل، قالت فى مناجاتها ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تقول كيف يوجد هذا الولد منى وأنا لست بذات زوج، ولا من عزمى أن أتزوج، ولست بغيًا حاشا لله؟ فقال لها الملك عن الله عز وجل فى جواب ذلك السؤال ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أى هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شىء.

وصرح ههنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ولم يقل: يفعل، كما فى قصة زكريا، بل نص ههنا على أنه يخلق لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أى فلا يتأخر شيئًا بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] أى إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها فيكون ذلك الشىء سريعًا كلمح بالبصر.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

يقول تعالى مخبرًا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام: أن الله يعلمه ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الظاهر أن المراد بالكتاب ههنا الكتابة، والحكمة تقدم تفسيرها فى سورة البقرة، و﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾، فالتوراة هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران، والإنجيل الذى أنزل على عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وقد كان عيسى عليه السلام يحفظ هذا وهذا، وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى يجعله رسولاً إلى بنى إسرائيل، قائلاً لهم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل، يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل، الذى جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ قيل: أنه الذى يبصر نهارًا ولا يبصر ليلاً، وقيل بالعكس.

وقيل: الأعشى. وقيل الأعمش. وقيل: هو الذى يولد أعمى وهو أشبه، لأنه أبلغ فى المعجزة

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢٧٢) برقم (٥٦٣)، وأخرجه البخاري برقم (٣٤٣٦).

وأقوى في التحدي ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ معروف، ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ .

قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبى من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى عليه السلام، فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذى شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد. وكذلك محمد ﷺ، بعث فى زمان الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبدًا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدًا.

وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ أى أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له فى بيته لغد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أى فى ذلك كله ﴿لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ﴾ أى على صدقى فيما جئتكم به ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ أى مقررًا لها ومثبتًا ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح من القولين،

ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئًا، وإنما أحل لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه خطأ، فكشف لهم عن المغطى فى ذلك، كما قال فى الآية الأخرى ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ [الزخرف: ٦٣] والله أعلم. ثم قال ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أى بحجة ودلالة على صدقى فيما أقوله لكم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ أى أنا وأنتم سواء فى العبودية له والخضوع والاستكانة إليه ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾.

نصف الحزب ٦

﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أى استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال، ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قال مجاهد: أى من يتبعنى إلى الله. وقال سفيان الثورى وغيره: أى من أنصارى مع الله، وقول مجاهد: أقرب، والظاهر أنه أراد من أنصارى فى الدعوة إلى الله؟ كما كان النبى ﷺ يقول فى مواسم الحج قبل أن يهاجر «من رجل يؤوينى حتى أبلغ كلام ربى. فإن قريشًا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى»(١) حتى وجد الأنصار، فآووه ونصروه وهاجر إليهم، فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر، رضى الله عنهم وأرضاهم. وهكذا عيسى ابن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بنى إسرائيل فآمنوا به ووازروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، ولهذا قال الله تعالى مخبرًا عنهم

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (١٤٠٤٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٦٣).

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ الحواريون قيل: كانوا قصارين، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين. والصحيح أن الحوارى الناصر، كما ثبت فى الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير ثم ندبهم، فانتدب الزبير رضى الله عنه، فقال النبى ﷺ: «لكل نبى حوارى، وحواريى الزبير».

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال: مع أمة محمد ﷺ، وهذا إسناد جيد. ثم قال تعالى مخبرًا عن ملإ بنى إسرائيل، فيما هموا به من الفتك بعيسى عليه السلام، وإرادته بالسوء والصلب حين تمالئوا عليه، ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا، أن هنا رجلًا يضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه فى رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زنية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث فى طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به، نجاه الله تعالى من بينهم ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده فى المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه فى ظلمة الليل عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه ورفعه من بين أظهرهم وتركهم فى ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبتهم، وأسكن الله فى قلوبهم قسوة وعنادًا للحق ملازمًا لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

اختلف المفسرون فى قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إنى رافعك إلى ومتوفيك، يعنى بعد ذلك. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾، أى مميتك. وقال محمد بن إسحاق عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات، ثم أحياه. وقال إسحاق بن بشر، عن إدريس عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه، ثم رفعه. وقال مطر الوراق: إنى متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا - النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: ٦٠] الآية.

(١) البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] الآية، وكان رسول الله ﷺ، يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[1] الحديث، وقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩] والضمير فى قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] عائد على عيسى عليه السلام، أى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتى بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وقال ابن أبى حاتم[2]: حدثنا أبى، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال فى قوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ يعنى وفاة المنام، رفعه الله فى منامه. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود «إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أى برفعى إياك إلى السماء ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام، لما رفعه الله إلى السماء، تفرقت أصحابه شيعًا بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله.

وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقالاتهم فى القرآن ورد على كل فريق، فاستمروا على ذلك قريبًا من ثلثمائة سنة، ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين، فدخل فى دين النصرانية، قيل: حيلة ليفسده، فإنه كان فيلسوفًا، وقيل: جهلاً منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين، والأمانة الكبرى التى هى الخيانة الحقيرة، وأحل فى زمانه لحم الخنزير، وصلوا له إلى المشرق، وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع، وزاد فى صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون، وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثنى عشر ألف معبد، وبنى المدينة المنسوبة إليه، واتبعه الطائفة الملكية منهم، وهم فى هذا كله قاهرون لليهود، أيدهم الله عليهم، لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفارًا عليهم لعائن الله، فلما بعث الله محمدًا ﷺ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، كانوا هم أتباع كل نبى على وجه الأرض، إذ قد صدقوا الرسول النبى الأمى العربى، خاتم الرسل وسيد ولد آدم على الإطلاق، الذى دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبى من أمته الذين يزعمون أنهم على ملته وطريقته، مع ما قد حرفوا وبدلوا، ثم لو لم يكن شىء من ذلك، لكان قد نسخ الله شريعة جميع الرسل بما بعث الله به محمدًا ﷺ من الدين الحق الذى لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٩٦) برقم (٦٤٢).

يزال قائمًا منصورًا ظاهرًا على كل دين، فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واجتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر وسلبوهما كنوزهما، وأنفقت فى سبيل الله كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم عز وجل فى قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فلهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًا، سلبوا النصارى بلاد الشام وألجئوهم إلى الروم فلجئوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة. وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية[١] ويستفيئون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جدًا، لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها، وقد جمعت فى هذا جزءًا مفردًا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ وكذلك فعل بمن كفر بالمسيح من اليهود أو غلا فيه أو أطراه من النصارى، عذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى، وأخذ الأموال وإزالة الأيدى عن الممالك، وفى الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أى فى الدنيا والآخرة، فى الدنيا بالنصر والظفر، وفى الآخرة بالجنات العاليات ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ أى هذا الذى قصصنا عليك يا محمد فى أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره، وهو مما قاله تعالى وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ، فلا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى فى سورة مريم ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥] وههنا قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٢ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ۝٦٣﴾

يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ﴾ فى قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم بل ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فالذى خلق آدم من غير أب، قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة فى عيسى لكونه مخلوقًا من غير أب، فجواز ذلك فى آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالإتفاق أن ذلك باطل، فدعواها فى عيسى أشد بطلانًا وأظهر فسادًا، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا

(١) صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٦٦٠٧)، وانظر الصحيحة برقم (٤).

من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى فى سورة مريم ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١].

وقال ههنا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ أى هذا هو القول الحق فى عيسى الذى لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ثم قال تعالى آمرًا رسوله ﷺ، أن يباهل من عاند الحق فى أمر عيسى بعد ظهور البيان ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أى نحضرهم فى حال المباهلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أى نلتعن ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ أى منا أو منكم. وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا فى وفد نجران، أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردًا عليهم كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيره، قال ابن إسحاق فى سيرته المشهورة وغيره[(١)]: قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم وهم: العاقب واسمه عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد، وقيس، ويزيد وابنيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويُحَنّس، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم العاقب، وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيد وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان رجلًا من العرب من بنى بكر بن وائل، ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه، وبنوا له الكنائس وأخدموه لما يعلمونه من صلابته فى دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله جهله على الاستمرار فى النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها.

قال ابن إسحاق[(٢)]: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال بنى الحارث بن كعب، قال: يقول من رآهم من أصحاب النبى ﷺ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم: وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «دعوهم» فصلوا إلى المشرق، قال: فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا. وكذلك قول النصرانية، فهم يحتجون فى قولهم هو الله، بأنه كان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا، وذلك كله بأمر الله. وليجعله الله آية للناس، ويحتجون على قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم فى المهد بشىء لم يصنعه أحد من بنى آدم قبله،

---

(١) انظر السيرة لابن هشام (٢/ ٤١٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٨٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٦٨).

(٢) السيرة لابن هشام (٢/ ٤١٣)، والطبرى في تفسيره (٦/ ١٥١).

ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدًا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا - وفى كل ذلك من قولهم: قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ «أسلما» ذ قالا: قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تسلما فأسلما». قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولدًا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير». قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال [١]: فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك.

فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدًا لنبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيًا قط، فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبى ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلًا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها فى أموالنا، فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ «ائتونى العشية أبعث معكم القوى الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجرًا، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر، سلم ثم نظر عن يمينه وشماله، فجعلت أتطاول له ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه، فقال «اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضى الله عنه. وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال فى الأشراف: كانوا اثنى عشر، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق، وزيادات أخر.

وقال البخارى [٢]: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضى الله عنه، قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال: أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبيًا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ولا تبعث معنا إلا أمينًا، فقال «لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين» فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام، قال رسول الله ﷺ هذا أمين هذه الأمة» رواه البخارى ومسلم

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٤٢٢). (٢) البخاري (٤٣٨٠).

والترمذى والنسائى وابن ماجه [١] من طرق عن أبي إسحاق السبيعى عن صلة، عن حذيفة، بنحوه وقد رواه أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبى إسحاق، عن صلة، عن ابن مسعود بنحوه وقال البخارى [٢]: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن خالد، عن أبى قلابة، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، قال «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وقال الإمام أحمد [٣]: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقى أبو يزيد، حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزرى، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل قبحه الله، إن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على رقبته، قال: فقال «لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً»، وقد رواه البخاري والترمذى والنسائى [٤] من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن عبد الكريم به، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدًا، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة، وفيه غرابة، وفيه مناسبة لهذا المقام، قال البيهقى [٥]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده، قال يونس - وكان نصرانيًا فأسلم -: إن رسول الله ﷺ، كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم، فإنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به، وذعره ذعرًا شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟.

فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لى فى أمر النبوة رأى، ولو كان فى أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيى واجتهدت لك، فقال الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذى أصبح من حمير، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه فقال له مثل قول شرحبيل.

فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى عبد الله فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل

---

(١) البخاري (٣٧٤٥)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذي (٣٧٩٦)، وابن ماجه (١٣٥).
(٢) البخاري (٤٣٨٢).
(٣) في المسند (٢٢٢٦).
(٤) صحيح: الترمذي (٣٣٤٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥١٨) برقم (١١٦٨٥)، وانظر صحيح الترمذي.
(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٨٢، ٣٩٣).

نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب أحد بنى الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأى فيه؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف، فتنحى فجلس ناحية، فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعًا، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت النيران والمسوح فى الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح، أهل الوادى أعلاه وأسفله. وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأى فيه، فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمدانى وعبد الله بن شرحبيل الأصبحى وجبار بن فيض الحارثى، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم، وتصدوا لكلامه نهارًا طويلاً، فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكانا معرفة لهم، فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتابًا فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأى منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم: ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه، ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم، ثم قال «والذى بعثنى بالحق، لقد أتونى المرة الأولى وإن إبليس لمعهم». ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول فى عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبيًا أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ «ما عندى فيه شىء يومى هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لى ربى فى عيسى» فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين فى خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيى، وإنى والله أرى أمرًا ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكًا مبعوثًا فكنا أول العرب طعنًا فى عينيه وردًا عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جوارًا، ولئن كان هذا الرجل نبيًا مرسلاً فلاعناه، لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحباه: فما الرأى يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أحكمه، فإنى أرى رجلاً لا يحكم شططًا أبدًا، فقالا: له: أنت وذاك، قال: فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ، فقال له: إنى قد رأيت خيرًا من ملاعنتك. فقال: وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز، فقال رسول الله ﷺ «لعل وراءك أحدًا يثرب عليك»؟.

فقال شرحبيل: سل صاحبى، فسألهما فقالا: ما يرد الوادى ولا يصدر إلا عن رأى شرحبيل.

فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبى محمد رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - فى كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفى حلة، فى كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة» وذكر تمام الشروط وبقية السياق.

والغرض أن وفودهم كان فى سنة تسع، لأن الزهرى قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح، وهى قوله تعالى ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، وقال أبو بكر بن مردويه [١]: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكى، حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى، عن جابر، قال: قدم على النبى ﷺ العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، قال: فغدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ «والذى بعثنى بالحق لو قالا: لا، لأمطر عليهم الوادى نارًا» قال جابر، وفيهم نزلت ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ قال جابر ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة.

وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه عن على بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهرى، عن على بن حجر، عن على بن مسهر، عن داود بن أبى هند به بمعناه، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا قال وقد رواه أبو داود الطيالسى، عن شعبة، عن المغيرة عن الشعبى مرسلًا، وهذا أصح، وقد روى عن ابن عباس والبراء نحو ذلك، ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ أى هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى شأن عيسى هو الحق الذى لا معدل عنه ولا محيد ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أى عن هذا إلى غيره ﴿تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أى من عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر الجزاء وهو القادر الذى لا يفوته شىء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نقمته.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم. ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، كما قال ههنا، ثم وصفها بقوله ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا ولا شيئًا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

---

(١) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٣).

فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] ثم قال تعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾، قال ابن جريج: يعني يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله، وقال عكرمة: يسجد بعضنا لبعض ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ أي فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة، فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم. وقد ذكرنا في شرح البخاري عند روايته من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن أبي سفيان في قصته حين دخل على قيصر، فسأله عن نسب رسول الله ﷺ، وعن صفته ونعته وما يدعو إليه، فأخبره بجميع ذلك على الجلية، مع أن أبا سفيان كان إذ ذاك مشركًا، لم يسلم بعد، وكان ذلك بعد صلح الحديبية وقبل الفتح، كما هو مصرح به في الحديث [(١)]، ولأنه لما سأله: هل يغدر؟ قال: فقلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئًا سوى هذه، والغرض أنه قال: ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فأسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾».

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، نزلت في وفد نجران. وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية، ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري؟ والجواب من وجوه:

(أحدها) يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة قبل الحديبية، ومرة بعد الفتح.

(الثاني) يحتمل أن صدر سورة آل عمران، نزل في وفد نجران إلى هذه الآية، وتكون هذه الآية، نزلت قبل ذلك، ويكون قول ابن إسحاق: إلى بضع وثمانين آية، ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان.

(الثالث) يحتمل أن قدوم وفد نجران، كان قبل الحديبية، وأن الذي بذلوه مصالحة عن المباهلة لا على وجه الجزية، بل يكون من باب المهادنة والمصالحة، ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك، كما جاء فرض الخمس والأربعة أخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر، ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك.

(الرابع) يحتمل أن رسول الله ﷺ، لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل، لم يكن أنزل بعد، ثم أنزل القرآن موافقة له ﷺ، كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الأسارى، وفي عدم الصلاة على المنافقين، وفي قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وفي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] الآية.

(١) البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٨﴾

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى فى محاجتهم فى إبراهيم الخليل عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار [(١)]: حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الآية، أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديًا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيًا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ الآية. هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تحاجوا فى إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التى شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ، لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لا يعلمون، فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ أى متحنفًا عن الشرك قاصدًا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وهذه الآية كالتى تقدمت فى سورة البقرة ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥] الآية.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه وهذا النبى، يعنى محمدًا ﷺ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم. قال سعيد بن منصور: حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن لكل نبى ولاة من النبيين، وإن وليى منهم أبى وخليل ربى عز وجل» ثم قرأ ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ الآية، وقد رواه الترمذى [(٢)] والبزار من حديث أبى أحمد الزبيرى، عن سفيان الثورى، عن أبيه به، ثم قال البزار: ورواه غير أبى أحمد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبى الضحى، عن عبد الله، ولم يذكر مسروقًا. وكذا رواه الترمذى من طريق وكيع عن سفيان، ثم قال: وهذا أصح، لكن رواه وكيع فى تفسيره، فقال: حدثنا سفيان عن أبيه، عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن مسعود، قال قال: رسول الله ﷺ «إن لكل نبى ولاية من النبيين، وإن وليى منهم أبى

---

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٢٩٣) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٩٩٥)، وأحمد (٣٧٩٠). وانظر صحيح الترمذي.

وخليل ربى عز وجل إبراهيم عليه السلام» ثم قرأ ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، قوله ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى ولى جميع المؤمنين برسله.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين، وبغيهم إياهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم، ثم قال تعالى منكرًا عليهم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ أى تعلمون صدقها وتتحققون حقها ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ أى تكتمون ما فى كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الآية، هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب فى دين المسلمين، ولهذا قالوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. وقال ابن أبى نجيح: عن مجاهد فى قوله تعالى إخبارًا عن اليهود بهذه الآية، يعنى يهودًا صلت مع النبى ﷺ صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكرًا منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم الضلالة منه بعد أن كانوا اتبعوه. وقال العوفى عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا، وهكذا روى عن قتادة والسدى والربيع وأبى مالك.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ أى لا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أى هو الذى يهدى قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما ينزله على عبده ورسوله محمد ﷺ من الآيات البينات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد النبى الأمى فى كتبكم التى نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين. وقوله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يقولون: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين، فيتعلموه منكم، ويساووكم فيه ويمتازوا به عليكم لشدة الإيمان به، أو يحاجوكم به عند ربكم، أى يتخذوه حجة عليكم بما فى أيديكم، فتقوم به عليكم الدلالة، وتتركب الحجة فى الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أى الأمور كلها تحت تصرفه، وهو المعطى المانع، يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصور التام، ويضل من يشاء فيعمى بصره وبصيرته، ويختم على قلبه

وسمعه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة والحكمة البالغة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أى اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء، وهداكم به إلى أكمل الشرائع.

ثلاثة أرباع الحزب ٦

﴿۞وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

يخبر تعالى عن اليهود بأن منهم الخونة ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم، فإن منهم ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أى من المال ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ أى وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليك ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أى بالمطالبة والملازمة والإلحاح فى استخلاص حقك، وإذا كان هذا صنيعه فى الدينار فما فوقه أولى أن لا يؤديه إليك. وقد تقدم الكلام على القنطار فى أول السورة، وأما الدينار فمعروف.

وقد قال ابن أبى حاتم (١): حدثنا سعيد بن عمرو السكونى، حدثنا بقية عن زياد بن الهيثم، حدثنا مالك بن دينار، قال: إنما سمى الدينار لأنه دين ونار وقيل: معناه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار. ومناسب أن يذكر ههنا الحديث الذى علقه البخارى فى غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقه فى كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث: حدثنى جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل، سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: ائتنى بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يركبها ليقدم عليه فى الأجل الذى أجله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللّهم إنك تعلم أنى استسلفت فلانًا ألف دينار فسألنى شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، وسألنى كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضى بذلك، وأنى جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى استودعتكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه لينظر لعل مركبًا يجيئه بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما كسرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذى كان تسلف منه، فأتاه بألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهدًا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلى بشىء؟ قال: ألم أخبرك أنى لم أجد مركبًا قبل هذا، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرف بألف دينار راشدًا (٢)، هكذا

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٤٦) برقم (٨٠٣).

(٢) ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم عقب حديث (١٤٩٨)، ووصله البخاري، حديث (٢٠٦٣)، وأحمد (٨٣٨١).

رواه البخارى فى موضع معلقًا بصيغة الجزم، وأسنده فى بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه . ورواه الإمام أحمد فى مسنده هكذا مطولاً، عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث به، ورواه البزار فى مسنده عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد، عن أبى عوانة، عن عمر بن أبى سلمة، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، بنحوه، ثم قال: لا يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، كذا قال وهو خطأ لما تقدم. وقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أى إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا فى ديننا حرج فى أكل أموال الأميين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوا بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت.

قال عبد الرزاق (١): أنبأنا معمر عن أبى إسحاق الهمدانى، عن صعصعة بن يزيد، أن رجلاً سأل ابن عباس، فقال: إنا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، قال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا بذلك بأس، قال هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم، وكذا رواه الثورى عن أبى إسحاق بنحوه.

وقال ابن أبى حاتم (٢): حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو الربيع الزهرانى، حدثنا يعقوب، حدثنا جعفر عن سعيد بن جبير، قال: لما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ قال نبى الله ﷺ «كذب أعداء الله ما من شىء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤداة إلى البر والفاجر» ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾ أى لكن من أوفى بعهده واتقى منكم يا أهل الكتاب الذى عاهدكم الله عليه من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بذلك، واتقى محارم الله، واتبع طاعته وشريعته التى بعث بها خاتم رسله وسيدهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالى: إن الذين يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة، وهى عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أى لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أى برحمة منه لهم، يعنى لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أى من الذنوب والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة، فلنذكر منها ما تيسر.

---

(١) تفسير عبد الرزاق (١/ ١٢٣).
(٢) ضعيف: ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٦٨٤) برقم (٣٧١٢)، من طريق جعفر بن أبي المغيرة، وهو ليس بالقوي فروايته عن سعيد بن جبير ، وأيضًا الإسناد مرسل.

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد[١] : حدثنا عفان، حدثنا شعبة، قال على بن مدرك : أخبرنى، قال سمعت أبا زرعة عن خرشة بن الحر، عن أبى ذر، قال قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» قلت : يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا. قال : وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال «المسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان»، ورواه مسلم وأهل السنن[٢] من حديث شعبة به.

(طريق أخرى) قال أحمد[٣] : حدثنا إسماعيل عن الجريرى، عن أبى العلاء بن الشخير، عن أبى الأحمس، قال : لقيت أباذر فقلت له : بلغنى عنك أنك تحدث حديثًا عن رسول الله ﷺ، قال : أما إنه لا يخالنى أن أكذب على رسول الله ﷺ، بعدما سمعته منه، فما الذى بلغك عنى؟ قلت : بلغنى أنك تقول : ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يشنؤهم الله. قال : قلته وسمعته، قلت : فمن هؤلاء الذين يحبهم الله؟ قال : «الرجل يلقى العدو فى فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون، فيتنحى أحدهم يصلى حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن» قلت : ومن هؤلاء الذين يشنؤهم الله؟ قال : «التاجر الحلاف - أو قال : البائع الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنان» غريب من هذا الوجه.

(الحديث الثانى) قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا يحيى بن سعيد، عن جرير بن حازم، حدثنا عدى بن عدى، أخبرنى رجاء بن حيوة والعرس بن عميرة، عن أبيه عدى هو ابن عميرة الكندى، قال : خاصم رجل من كندة، يقال له امرؤ القيس بن عابس، رجلاً من حضر موت إلى رسول الله ﷺ فى أرض، فقضى على الحضرمى بالبينة، فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين، فقال الحضرمى : إن أمكنته من اليمين يا رسول الله؟ ذهبت ورب الكعبة أرضى، فقال النبى ﷺ : «من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان» قال رجاء : وتلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فقال امرؤ القيس : ماذا لمن تركها يا رسول الله؟ فقال «الجنة». قال : فاشهد أنى قد تركتها له كلها، ورواه النسائى من حديث عدى بن عدى به،

(الحديث الثالث) قال أحمد[٥] : حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «من حلف على يمين هو فيها فاجر، ليقتطع بها مالَ امرى مسلم، لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان». فقال الأشعث : فى والله كان ذلك كان بينى وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى، فقدمته إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ : «ألك بينة؟ قلت : لا. فقال لليهودى : احلف. فقلت : يا رسول الله، إذًا يحلف فيذهب مالى. فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ

---

(١) في المسند (٢٠٨١١).
(٢) مسلم (١٠٦)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والترمذي (١٢١١)، والنسائي (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٢٢٠٨).
(٣) في المسند (٢٠٨٣٣).
(٤) في المسند (١٧٢٦٣).
(٥) صحيح : في المسند (٣٥٨٦).

﴿وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية أخرجاه من حديث الأعمش .

(طريق أخرى) قال أحمد [(١)] : حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبى النجود، عن شقيق بن سلمة، حدثنا عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، لقى الله وهو عليه غضبان» قال: فجاء الأشعث بن قيس، فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ فحدثناه، فقال: فى كان هذا الحديث، خاصمت ابن عم لى إلى رسول الله ﷺ فى بئر كانت لى فى يده فجحدنى، فقال رسول الله ﷺ «بينتك أنها بئرك وإلا فيمينه» قال: قلت: يا رسول الله، ما لى بينة، وإن تجعلها بيمينه تذهب بئرى، إن خصمى امرؤ فاجر، فقال رسول الله ﷺ «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية .

(الحديث الرابع) قال أحمد [(٢)] : حدثنا يحيى بن غيلان، قال: حدثنا رِشْدين عن زياد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ ، قال «إن لله تعالى عبادًا لا يكلمهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم» قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟ قال «متبرئ من والديه راغب عنهما، ومتبرىء من ولده، ورجل أنعم عليه قوم، فكفر نعمتهم وتبرأ منهم» .

(الحديث الخامس) قال ابن أبى حاتم [(٣)] : حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا هشيم، أنبأنا العوام يعنى ابن حوشب، عن إبراهيم بن عبد الرحمن يعنى السكسكى، عن عبد الله بن أبى أوفى، أن رجلًا أقام سلعة له فى السوق، فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية، ورواه البخارى [(٤)] من غير وجه عن العوام.

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد [(٥)] : حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعة بعد العصر، يعنى كاذبًا، ورجل بايع إمامًا فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له» ورواه أبو داود والترمذى [(٦)] من حديث وكيع، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله، أن منهم فريقًا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به، ليوهموا الجهلة أنه فى كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا فى ذلك كله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

---

(١) في المسند (٣١٣٤١).
(٢) في المسند (١٥٢٠٩).
(٣) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٦) برقم (٣٧٢٢).
(٤) البخاري (٤٥٥١).
(٥) صحيح: في المسند (٩٨٦٦)، وانظر صحيح الجامع برقم (٣٠٦٨).
(٦) صحيح: أبو داود (٣٤٧٤)، والترمذي (١٥٩٥)، وانظر صحيح أبي داود.

وقال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس. ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ يحرفونه، وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيدون، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرفونه ويتأولونه على غير تأويله وقال وهب بن منبه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة لا تحول رواه ابن أبي حاتم[1]، فإن عنى وهب ما بأيديهم من ذلك، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش، وهو من باب تفسير المعرب المعبر وفهم كثير منهم بل أكثرهم بل جميعهم فاسد وأما إن عنى كتب الله التي هي كتبه من عنده فتلك كما قال: محفوظة لم يدخلها شيء.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قال محمد بن إسحاق[2]: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال: فقال رسول الله ﷺ «معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني» أو كما قال ﷺ: فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، أن يقول للناس اعبدوني من دون الله، أي مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل، فلئلا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية [التوبة: ٣١]، وفي المسند والترمذي[3] كما سيأتي أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم. قال «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦١).
(٢) السيرة لابن هشام (٢/ ٣٩٥)، والطبري في تفسيره (٦/ ٥٣٩).
(٣) حسن: الترمذي (٣٠٩٥)، وانظر غاية المرام برقم (٦).

يدخلون فى هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به، وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم السفراء بين الله وبين خلقه فى أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم القيام، ونصحوا الخلق، وبلغوهم الحق، وقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أى ولكن يقول الرسول للناس كونوا ربانيين، قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحد: أى حكماء علماء حلماء.

وقال الحسن وغير واحد: فقهاء وكذا روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء الخراسانى وعطية العوفى والربيع بن أنس وعن الحسن أيضًا: يعنى أهل عبادة وأهل تقوى، وقال الضحاك فى قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أى تفهمون معناه، وقرئ ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد من التعليم ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تحفظون ألفاظه، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ أى ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله: لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] أى لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر.

والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] الآية، وقال ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال إخبارًا عن الملائكة ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أى مبلغ، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته ولهذا قال تعالى وتقدس ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ أى لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ وقال ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة والسدى يعنى عهدى وقال محمد بن إسحاق (إصرى) أى ثقل ما حملتم من عهدى أى ميثاقى الشديد المؤكد ﴿قَالُوٓا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أى عن هذا العهد والميثاق ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. قال على بن أبى طالب وابن عمه ابن عباس رضى الله عنهما: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمدًا ﷺ وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقال طاوس والحسن البصرى وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، وهذا لا يضاد ما

قاله على وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه، ولهذا روى عبد الرزاق عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، مثل قول على وابن عباس، وقد قال الإمام أحمد [(١)]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبى، عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنى مررت بأخ لى يهودى من قريظة، فكتب لى جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال، فتغير وجه رسول ﷺ قال عبد الله بن ثابت، قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، قال: فسرى عن النبى ﷺ وقال «والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام، ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم، إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين».

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى [(٢)]: حدثنا إسحاق حدثنا حماد عن مجالد عن الشعبى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى».

وفى بعض الأحاديث «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى» فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، هو الإمام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع فى المحشر فى إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذى لا يليق إلا له، والذى يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهى النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

يقـول تعالى منكـرًا على من أراد دينًا سوى دين الله الذى أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذى ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أى استسلم له من فيهما طوعًا وكرهًا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ الآية [الرعد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٨-٥٠] فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهًا، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع، وقد ورد حديث فى تفسير هذه الآية على معنى آخر فيه غرابة.

---

(١) حسن: في المسند (١٥٤٣٧)، وانظر الإرواء، برقم (١٥٨٩).
(٢) البزار كما في كشف الأستار (١/ ٧٨ -٧٩) حديث (١٢٤)، وأبو يعلى (٤/ ١٠٢)، برقم (٢١٣٥).

فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى [(١)]: حدثنا أحمد بن النضر العسكرى، حدثنا سعيد بن حفص النفيلى، حدثنا محمد بن محصن العكاشى، حدثنا الأوزاعى، عن عطاء بن أبى رباح، عن النبى ﷺ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، «أما من فى السموات فالملائكة، وأما من فى الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرهًا فمن أتى به من سبايا الأمم فى السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون».

وقد ورد فى الصحيح «عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فى السلاسل» [(٢)] وسيأتى له شاهد من وجه آخر، ولكن المعنى الأول للآية أقوى، وقد قال وكيع فى تفسيره، حدثنا سفيان عن منصور، عن مجاهد ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: هو كقوله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال أيضًا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: حين أخذ الميثاق، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أى يوم المعاد فيجازى كلاً بعمله ثم قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعنى القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أى من الصحف والوحى، ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم بطون بنى إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثنى عشر، ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعنى بذلك التوراة والإنجيل، ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ يعنى: بل نؤمن بجميعهم ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبى أرسل، وبكل كتاب أنزل، لا يكفرون بشىء من ذلك، بل هم يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبى بعثه الله. ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية، أى من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله، فلن يقبل منه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [(٣)]. وقال الإمام أحمد [(٤)]: حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدثنا عباد بن راشد، حدثنا الحسن، حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة، قال: قال رسول الله ﷺ «تجئ الأعمال يوم القيامة، فتجئ الصلاة فتقول: يا رب، أنا الصلاة فيقول إنك على خير وتجئ الصدقة فتقول: يا رب، أنا الصدقة فيقول إنك على خير، ثم يجئ الصيام فيقول: يا رب، أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجئ الأعمال كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجىء الإسلام فيقول: يا رب، أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله تعالى: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطى، قال الله فى كتابه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ تفرد به أحمد، قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد: عباد بن راشد ثقة، ولكن الحسن لم يسمع من أبى هريرة.

---

(١) المعجم الكبير (١١/ ١٩٤) برقم (١١٤٧٣). وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٩٢٣): رواه الطبراني، وفيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك.

(٢) البخاري (٣٠١٠)، وأبو داود (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ضعيف: في المسند (٨٥٢٥). وانظر مشكاة المصابيح (٥٢٢٤).

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

قال ابن جرير [(١)] : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لى رسول الله هل لى من توبة؟ فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم، وهكذا رواه النسائى والحاكم وابن حبان [(٢)] من طريق داود بن أبى هند به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال عبد الرزاق [(٣)] : أنبأنا جعفر بن سليمان، حدثنا حميد الأعرج، عن مجاهد، قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبى ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك - والله ما علمت - لصدوق، وإن رسول الله لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه، فقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العماية؟، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ثم قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أى يلعنهم الله، ويلعنهم خلقه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أى فى اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أى لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من تاب إليه، تاب عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

يقول تعالى متوعدًا ومهددًا لمن كفر بعد إيمانه، ثم ازداد كفرًا، أى استمر عليه إلى الممات، ومخبرًا بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

---

(١) الطبرى في التفسير (٣/ ٣٤٠).
(٢) صحيح: النسائي (٤٠٦٨) الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٤) برقم (٢٦٢٨)، وانظر الصحيحة برقم (٣٠٦٦).
(٣) عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٥).

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨] ، ولهذا قال ههنا ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ أى الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغى، قال الحافظ أبو بكر البزار[١] : حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا يزيد بن زريع حدثنا داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ وهكذا رواه، وإسناده جيد، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أى من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدا.

ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قربة، كما سئل النبى ﷺ عن عبد الله بن جدعان وكان يقرى الضيف ويفك العانى ويطعم الطعام: هل ينفعه ذلك؟ فقال «لا، إنه لم يقل يومًا من الدهر: ربى اغفر لى خطيئتى يوم الدين»[٢] وكذلك لو افتدى بملء الأرض ذهبًا ما قبل منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] وقال ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] ، وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦] . ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ فعطف ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ به على الأول، فدل على أنه غيره، وما ذكرناه أحسن من أن يقال: أن الواو زائدة، والله أعلم، ويقتضى ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شىء ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبًا، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها، وقال الإمام أحمد[٣] : حدثنا حجاج، حدثنى شعبة عن أبى عمران الجونى، عن أنس بن مالك، أن النبى ﷺ ، قال «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شىء، أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك فى ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بى شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك» وهكذا أخرجه البخارى ومسلم[٤] .

(طريق أخرى) وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا روح، حدثنا حماد عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب خير منزل، فيقول: سل وتمن، فيقول: ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرار، لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: يا رب شر منزل، فيقول له: تفتدى منى بطلاع الأرض ذهبًا؟ فيقول: أى رب نعم، فيقول: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار» ، ولهذا قال

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٨)، وعزاه إلى البزار.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) في المسند (١١٨٨٠). (٤) البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).
(٥) في المسند (١٢٧٥٠)، وقد أخرجه مسلم بنحوه برقم (١٨٧٧)

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ أى وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه.

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

روى وكيع فى تفسيره عن شريك، عن أبى إسحاق، عن عمرو بن ميمون ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ قال: الجنة، وقال الإمام أحمد [١]: حدثنا روح، حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، سمع أنس بن مالك، يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبى ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبى ﷺ: «بخ بخ ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها فى الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه، أخرجاه، وفى الصحيحين [٢] أن عمر قال يا رسول الله لم أصب مالاً قط هو أنفس عندى من سهمى الذى هو بخيبر، فما تأمرنى به؟ قال: احبس الأصل وسبل الثمرة» وقال الحافظ أبو بكر البزار [٣]: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسانى، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبى عمرو بن حماس، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، قال: قال عبد الله: حضرتنى هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطانى الله، فلم أجد شيئًا أحب إلى من جارية لى رومية، فقلت: هى حرة لوجه الله، فلو أنى أعود فى شىء جعلته لله لنكحتها، يعنى تزوجتها. جزء

﴿۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٤
التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ حزب
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ٧

قال الإمام أحمد [٤]: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر، قال: قال ابن عباس حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى، قال: «سلونى عما شئتم، ولكن اجعلوا لى ذمة الله، وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم شيئًا فعرفتموه لتتابعنى على الإسلام» قالوا: فذلك لك، قال: فسلونى عما شئتم. قالوا: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى النوم، ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه، فقال: أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضًا شديدًا وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان

(١) في المسند (١٢٠٣٠). (٢) البخاري (٢٧٦٤)، ومسلم (١٦٣٣).
(٣) كشف الأستار، برقم (٢٩١٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٩): رواه البزار وفيه من لم أعرفه.
(٤) في المسند (٢٥١٠).

أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها» ؟ فقالوا: اللَّهم نعم: قال: «اللَّهم اشهد عليهم» . وقال «أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، الذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد، والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله» ؟ قالوا: نعم. قال: «اللَّهم اشهد عليهم» . وقال: «أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه، ولا ينام قلبه» ؟ قالوا: اللَّهم نعم. قال: «اللَّهم اشهد» قالوا: وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك و نفارقك قال: «إن وليى جبريل ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك غيره لتابعناك، فعند ذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، ورواه أحمد أيضًا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به،

(طريق أخرى) قال أحمد(١): حدثنا أبو أحمد الزبيرى، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلى، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبى واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦] قال: «هاتوا» قالوا: أخبرنا عن علامة النبى قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه» ، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة، وكيف تذكر؟ قال: «يلتقى الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة، أذكرت، وإذا علا ماء المرأة أنثت» قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا - قال أحمد: قال بعضهم: يعنى الإبل - فحرم لحومها» قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده - أو فى يديه - مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل» قالوا: فما هذا الصوت الذى يسمع؟ قال «صوته» . قالوا صدقت، إنما بقيت واحدة، وهى التى نتابعك إن أخبرتنا بها، إنه ليس من نبى إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام» ، قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر، لكان، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] والآية بعدها، وقد رواه الترمذى والنسائى(٢)، من حديث عبد الله بن الوليد العجلى به نحوه. وقال الترمذى: حسن غريب. وقال ابن جريج والعوفى عن ابن عباس: كان إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - يعتريه عرق النسا بالليل، وكان يقلقه ويزعجه عن النوم، ويقلع الوجع عنه بالنهار، فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقًا ولا يأكل ولد ما له عرق، وهكذا قال الضحاك والسدى، كذا رواه وحكاه ابن جرير فى تفسيره، قال: فاتبعه بنوه فى تحريم ذلك استنانًا به واقتداء بطريقه، قال: وقوله ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ أى حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، قلت: ولهذا السياق بعدما تقدم مناسبتان:

(إحداهما) أن إسرائيل عليه السلام حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله، وكان هذا سائغًا فى

---

(١) في المسند (٢٤٧٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٣١١٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٦) برقم (٩٠٧٢)، وانظر صحيح الترمذي.

شريعتهم فله مناسبة بعد قوله ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [البقرة: ٩٢] فهذا هو المشروع عندنا، وهو الإنفاق فى طاعة الله مما يحبه العبد ويشتهيه، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] الآية.

(المناسبة الثانية) لما تقدم بيان الرد على النصارى، واعتقادهم الباطل فى المسيح وتبيين زيف ما ذهبوا إليه وظهور الحق واليقين فى أمر عيسى وأمه، كيف خلقه الله بقدرته ومشيئته وبعثه إلى بنى إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى، شرع فى الرد على اليهود قبحهم الله تعالى وبيان أن النسخ الذى أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله تعالى قد نص فى كتابهم التوراة أن نوحًا عليه السلام لما خرج من السفينة، أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرم إسرائيل على نفسه لحمان الإبل وألبانها فاتبعه بنوه فى ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخرى زيادة على ذلك، وكان الله عز وجل قد أذن لآدم فى تزويج بناته من بنيه، وقد حرم ذلك بعد ذلك، وكان التسرى على الزوجة مباحًا فى شريعة إبراهيم عليه السلام، وقد فعله إبراهيم فى هاجر لما تسرى بها على سارة، وقد حرم مثل هذا فى التوراة عليهم، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغًا، وقد فعله يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين، ثم حرم عليهم ذلك فى التوراة، وهذا كله منصوص عليه فى التوراة عندهم، وهذا هو النسخ بعينه، فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام، فى إحلاله بعض ما حرم فى التوراة، فما بالهم لم يتبعوه؟ بل كذبوه وخالفوه؟ وكذلك ما بعث الله به محمدًا ﷺ من الدين القويم، والصراط المستقيم، وملة أبيه إبراهيم، فما بالهم لا يؤمنون؟ ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ أى كان حلًا لهم، جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرمه إسرائيل، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فإنها ناطقة بما قلناه ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ أى فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائمًا، وأنه لم يبعث نبيًا آخر يدعو إلى الله بالبراهين والحجج بعد هذا الذى بيناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أى قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به وفيما شرعه فى القرآن، ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أى اتبعوا ملة إبراهيم التى شرعها الله فى القرآن على لسان محمد ﷺ فإنه الحق الذى لا شك فيه ولا مرية، وهى الطريقة التى لم يأت نبى بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أى لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به، ويصلون إليه، ويعتكفون عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعنى الكعبة التى بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذى يزعم كل

من طائفتىْ النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجون إلى البيت الذى بناه عن أمر الله له فى ذلك ونادى الناس إلى حجه، ولهذا قال تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾ أى وضع مباركًا ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ وقد قال الإمام أحمد(١): حدثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم التيمى، عن أبيه، عن أبى ذر رضى الله عنه، قال: قلت يا رسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال «المسجد الحرام». قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أى؟ قال: «ثم حيث أدركتَ الصلاة فصل فكلها مسجد» وأخرجه البخارى ومسلم(٢) من حديث الأعمش به. وقال ابن أبى حاتم(٣): حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا سعيد بن سليمان، عن شريك، عن مجالد، عن الشعبى، عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله. وحدثنا أبى، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة، قال: قام رجل إلى على رضى الله عنه، فقال: ألا تحدثنى عن البيت، أهو أول بيت وضع فى الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا، وذكر تمام الخبر فى كيفية بناء إبراهيم البيت، وقد ذكرنا ذلك مستقصى فى أول سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا، وزعم السدى أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقًا، والصحيح قول على رضى الله عنه. فأما الحديث الذى رواه البيهقى(٤) فى بناء الكعبة فى كتابه دلائل النبوة من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء، فأمرهما ببناء الكعبة، فبناه آدم، ثم أمر بالطواف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس» فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف. والأشبه. والله أعلم، أن يكون هذا موقوفًا على عبد الله بن عمرو، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بكة من أسماء مكة على المشهور، قيل: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى أنهم يذلون بها ويخضعون عندها وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون. قال قتادة: إن الله بك به الناس جميعًا، فيصلى النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها، وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب ومقاتل بن حيان. وذكر حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، وقال شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم: بكة البيت والمسجد، وكذا قال الزهرى. وقال عكرمة، فى رواية، وميمون بن مهران: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة. وقال أبو صالح وإبراهيم النخعى وعطية العوفى ومقاتل بن حيان: بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رحم، وأم القرى، وصلاح، والعرش على وزن بدر،

---

(١) المسند (٢٠٨٢٦). (٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٣) ضعيف: ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٠٢) برقم (٩٦٢)، فيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.
(٤) ضعيف: البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٥).

والقادس لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسة بالنون، وبالباء أيضًا والحاطمة، والنسّاسة، والرأس، وكوثاء والبلدة، والبنية، والكعبة.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ أى دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرفه، ثم قال تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ يعنى الذى لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران، حيث كان يقف عليه ويناوله إسماعيل، وقد كان ملتصقًا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه، ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف، لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾[البقرة: ١٢٥] وقد قدمنا الأحاديث فى ذلك فأغنى عن إعادتها ههنا، و لله الحمد والمنة. وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ أى فمنهنّ مقام إبراهيم والمشْعَر. وقال مجاهد: أثر قدميه فى المقام آية بينة، وكذا روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقال أبو طالب فى قصيدته اللامية المشهورة:

ومَوطِىء إبراهيم فى الصخر رطبة على قدميه حافيًا غير ناعل

وقال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا أبو سعيد وعمرو الأودى، قالا: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، فى قوله تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ قال: الحرم كله مقام إبراهيم، ولفظ عمرو: الحجر كله مقام إبراهيم، وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: الحج مقام إبراهيم هكذا رأيته فى النسخة، ولعله الحجر كله مقام إبراهيم، وقد صرح بذلك مجاهد. وقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ يعنى حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر فى حال الجاهلية، كما قال الحسن البصرى وغيره: كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج.

وقال ابن أبى حاتم [(٢)]: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو يحيى التَّيمى، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ قال: من عاذ بالبيت أعاذه البيت، ولكن لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى، فإذا خرج أخذ بذنبه، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾[العنكبوت: ٦٧] الآية، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾[قريش: ٣-٤] وحتى إنه من جملة تحريمها حرمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها وقلع حشيشها، كما ثبتت الأحاديث والآثار فى ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا. ففى الصحيحين [(٣)] واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» وقال يوم الفتح فتح مكة «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله، إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى، ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله

---

(١) ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٤١٤)، برقم (١٠٠١).
(٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٤١٤ - ٤١٥) برقم (١٠٠٤).
(٣) البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها» فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم، فقال «إلا الإذخر»[1] ، ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه، ولهما واللفظ لمسلم أيضًا عن أبي شريح العدوى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لى أيها الأمير أن أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناى ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لى فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب»[2] . فقيل لأبى شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيًا، ولا فارًا بدم، ولا فارًا بخَزْية ، وعن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح» رواه مسلم[3] . وعن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف بالحَزْوَرَة بسوق مكة، يقول «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت» . رواه الإمام أحمد، وهذا لفظه، والترمذى والنسائى وابن ماجه[4] .

وقال الترمذى: حسن صحيح، وكذا صَحّح من حديث ابن عباس نحوه وروى أحمد عن أبى هريرة نحوه. وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا بشر بن آدم ابن بنت أزهر السمان، حدثنا أبو عاصم، عن زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم، حدثنى زياد بن أبى عياش، عن يحيى بن جعدة بن هبيرة فى قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال: آمنًا من النار. وفى معنى هذا القول الحديث الذى رواه البيهقى[5] : أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن سليمان الواسطى، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا ابن المؤمل عن ابن محيصن، عن عطاء، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «من دخل البيت دخل فى حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفورًا له» ثم قال: تفرد به عبد الله بن المؤمل، وليس بالقوى. وقوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ هذه آية وجوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هى قوله ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والأول أظهر. وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا، وإنما يجب على المكلف فى العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

قال الإمام أحمد[6] رحمه الله: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الربيع بن مسلم القرشى، عن

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) مسلم (١٣٥٦).
(٤) صحيح: أحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وانظر صحيح ابن ماجه.
(٥) ضعيف: البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٥٨) برقم (٩٥٠٦).
(٦) في المسند (١٠٢٢٩).

محمد بن زياد، عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال «أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال «ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»، ورواه مسلم [١] عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون به نحوه. وقد روى سفيان بن حسين وسليمان بن كثير وعبد الجليل بن حميد ومحمد بن أبى حفصة عن الزهرى، عن أبى سنان الدؤلى واسمه يزيد بن أمية، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس، فقال: يا رسول الله أفى كل عام؟ فقال «لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه، والحاكم [٢] من حديث الزهرى به، ورواه شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه. وروى من حديث أسامة بن زيد.

قال الإمام أحمد [٣]: حدثنا منصور بن وردان عن على بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن أبى البَخْترى، عن على رضى الله عنه، قال: لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قالوا: يا رسول الله فى كل عام؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله فى كل عام؟ قال «لا، ولو قلت نعم لوجبت»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] وكذا رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث منصور بن وردان به، ثم قال الترمذى، حسن غريب، وفيما قال نظر، لأن البخارى قال: لم يسمع أبو البخترى من على. وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا محمد بن أبى عبيدة عن أبيه، عن الأعمش، عن أبى سفيان، عن أنس بن مالك، قال: قالوا: يا رسول الله، الحج فى كل عام؟ قال «لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لم تقوموا بها، ولو لم تقوموا بها، لعذبتم». وفى الصحيحين [٤] من حديث ابن جريج عن عطاء، عن جابر، عن سراقة بن مالك، قال يا رسول الله، متعتنا هذه لعامنا هذا، أم للأبد؟ قال «لا، بل للأبد». وفى رواية «بل لأبد الأبد».

وفى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود [٥] من حديث واقد بن أبى واقد الليثى عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال لنسائه فى حجته «هذه ثم ظهور الحصر - يعنى ثم الزمن ظهور الحصر - ولا تخرجن من البيوت» وأما الاستطاعة فأقسام: تارة يكون الشخص مستطيعًا بنفسه، وتارة بغيره كما هو مقرر فى كتب الأحكام، قال أبو عيسى الترمذى [٦]: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا إبراهيم بن يزيد، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال قام

(١) مسلم (١٣٣٧).

(٢) أحمد (٢٣٠٤)، وأبو داود (١٧٢١)، والنسائي (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٢٨٨٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢١) برقم (٣١٥٥).

(٣) في المسند (٩٠٧).

(٤) البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦).

(٥) صحيح: أبو داود (١٧٢٢)، وأحمد (٢١٣٩٨)، وانظر صحيح أبي داود.

(٦) ضعيف جدًا: لكن جملة «العج والثج» ثبتت في حديث آخر رواه الترمذي (٢٩٩٨).

رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من الحاج يا رسول الله؟ قال: «الشعث التفل»، فقام آخر فقال: أى الحج أفضل يا رسول الله؟ قال: «العج والثج»، فقام آخر فقال: ما السبيل يا رسول الله؟ قال: «الزاد والراحلة»، وهكذا رواه ابن ماجه[١] من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الخوزى، قال الترمذى: ولا نعرفه إلا من حديثه، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، كذا قال ههنا وقال فى كتاب الحج: هذا حديث حسن. لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات سوى الخوزى هذا، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث، لكن قد تابعه غيره.

فقال ابن أبى حاتم[٢]: حدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامرى، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى، عن محمد بن عباد بن جعفر، قال: جلست إلى عبد الله بن عمر، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له: ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة» وهكذا رواه ابن مردويه من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير به ثم قال ابن أبى حاتم: وقد روى عن ابن عباس وأنس والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة نحو ذلك، وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة كلها مرفوعة، ولكن فى أسانيدها مقال كما هو مقرر فى كتاب الأحكام، والله أعلم. وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث، ورواه الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله عز وجل ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقيل: ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة»، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وقال ابن جرير: حدثنى يعقوب، حدثنا ابن علية عن يونس، عن الحسن، قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فقالوا: يا رسول الله ما السبيل؟ قال «الزاد والراحلة»، ورواه وكيع فى تفسيره عن سفيان، عن يونس به.

وقال الإمام أحمد[٣]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا الثورى، عن إسماعيل وهو أبو إسرائيل الملائى، عن فضيل، يعنى ابن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا إلى الحج - يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له». وقال أحمد أيضًا[٤]: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الحسن بن عمرو الفقيمى، عن مهران بن أبى صفوان، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «من أراد الحج فليتعجل» ورواه أبو داود[٥] عن مسدد عن أبى معاوية الضرير به. وقد روى ابن جرير عن ابن عباس فى قوله ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع إليه سبيلًا، وعن عكرمة مولاه أنه قال: السبيل الصحة وروى وكيع بن الجراح عن أبى جناب يعنى الكلبى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، قال ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال «الزاد والبعير» وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أى ومن جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه. وقال سعيد بن منصور عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن عكرمة،

---

(١) ابن ماجه (٢٨٩٦). (٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٤٢٢) برقم (١٠١٧).

(٣) حسن: في المسند (٢٨٦٤)، وانظر الإرواء برقم (٩٩٠).

(٤) في المسند (١٩٧٤). (٥) حسن: أبو داود (١٧٣٢)، وانظر صحيح أبي داود.

قال: لما نزلت ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله عز وجل: فاخْصِمهم فحجهم، يعنى فقال لهم النبى ﷺ «إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» فقالوا: لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا، قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، حدثنا مسلم بن إبراهيم، وشاذ بن فياض، قالا: حدثنا هلال أبو هاشم الخراسانى، حدثنا أبو إسحاق الهمدانى عن الحارث، عن على رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله، فلا يضره مات يهوديًا أو نصرانيًا، ذلك بأن الله قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم به، وهكذا رواه ابن أبى حاتم عن أبى زرعة الرازى: حدثنا هلال بن فياض، حدثنا هلال أبو هاشم الخراسانى، فذكره بإسناده مثله، ورواه الترمذى [١] عن محمد بن يحيى القطعى عن مسلم بن إبراهيم، عن هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى إسناده مقال، وهلال مجهول، والحارث يضعف فى الحديث. وقال البخارى: هلال هذا منكر الحديث.

وقال ابن عدى: هذا الحديث ليس بمحفوظ. وقد روى أبو بكر الإسماعيلى الحافظ من حديث أبى عمرو الأوزاعى: حدثنى إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر، حدثنى عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديًا مات أو نصرانيًا، وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضى الله عنه. وروى سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى، قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان له جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٩﴾

هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم، مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بشروا به ونوهوا به من ذكر النبى الأمى الهاشمى العربى المكى سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أى وسيجزيهم على ذلك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨].

---

(١) ضعيف: ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٢)، والترمذي (٨١٢)، وانظر ضعيف الترمذي للألباني.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله وما منحهم به من إرسال رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية، وهكذا قال ههنا ﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ يعنى أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه، فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهارًا، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨] الآية بعدها. وكما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ، قال لأصحابه يومًا «أى المؤمنين أعجب إليكم إيمانًا؟» قالوا: الملائكة. قال: «وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم»؟ وذكروا الأنبياء، قال «وكيف لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم؟» قالوا: فنحن. قال «وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟» قالوا: فأى الناس أعجب إيمانًا؟ قال «قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفًا يؤمنون بما فيها»(١) وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه فى أول شرح البخارى، ولله الحمد، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة فى الهداية، والعدّة فى مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ
إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قال ابن أبي حاتم(٢): حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن عن سفيان وشعبة عن زبيد اليامى، عن مرة، عن عبد الله هو ابن مسعود ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وقد رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب، عن سفيان الثورى، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى»، وكذا رواه الحاكم فى مستدركه من حديث مسعر عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود مرفوعًا، فذكره، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، كذا قال، والأظهر أنه موقوف، والله أعلم. ثم قال ابن أبى حاتم: وروى نحوه عن مرة

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٩٩)، وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.
(٢) إسناده صحيح: ابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٦) برقم (١٠٧٩).

الهمداني والربيع بن خُثيم وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي، نحو ذلك. وروى عن أنس أنه قال: لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية، والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ قال: لم تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك.

قال الإمام أحمد [(١)]: حدثنا روح، حدثنا شعبة، قال: سمعت سليمان عن مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون بالبيت وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، ولو أن قطرة من الزقوم قُطِرت لأمَرّتْ على أهل الأرض عيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم؟» وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه [(٢)] من طرق عن شعبة به وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد [(٣)]: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه».

وقال الإمام أحمد [(٤)] أيضًا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» ورواه مسلم [(٥)] من طريق الأعمش به. وقال الإمام أحمد [(٦)]: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن الله قال: أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله»، وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين [(٧)] من وجه آخر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي».

وقال الحافظ أبو بكر البزار [(٨)]: حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس، قال: كان رجل من الأنصار مريضًا، فجاءه النبي ﷺ يعوده، فوافقه في

---

(١) في المسند (٢٧٣٠).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٣) برقم (١١٠٧٠)، وابن حبان (١٦/ ٥١١)، برقم (٧٤٧٠)، وانظر صحيح الجامع برقم (٥٢٥٠).

(٣) في المسند (٦٧٥٤).

(٤) في المسند (١٤٠٧٢).

(٥) مسلم (٢٨٧٧).

(٦) في المسند (٨٨٣٣).

(٧) البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

(٨) حسن: أخرجه الترمذي (٩٨٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٦٢)، برقم (١٠٩٠١)، وانظر صحيح الترمذي.

السوق فسلم عليه، فقال له «كيف أنت يا فلان» ؟ قال: بخير يا رسول الله، أرجو الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ «لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»، ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان، وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديثه، ثم قال الترمذى: غريب، وقد رواه بعضهم عن ثابت مرسلاً، فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد (١): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبى بشر، عن يوسف بن ماهك، عن حكيم بن حزام، قال: بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائمًا، ورواه النسائى فى سننه عن إسماعيل بن مسعود عن خالد بن الحارث عن شعبة به، وترجم عليه فقال (باب كيف يخر للسجود)، ثم ساقه مثله فقيل: معناه أن لا أموت إلا مسلمًا، وقيل: معناه أن لا أقتل إلا مقبلاً غير مدبر وهو يرجع إلى الأول.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قيل ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أى بعهد الله، كما قال فى الآية بعدها ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] أى بعهد وذمة، وقيل ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] يعنى القرآن كما فى حديث الحارث الأعور عن على مرفوعًا فى صفة القرآن «هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم» .

وقد ورد فى ذلك حديث خاص بهذا المعنى، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبرى (٢): حدثنا سعيد بن يحيى الأموى، حدثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك بن أبى سليمان العَرْزَمى عن عطية، عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» .

وروى ابن مردويه من طريق إبراهيم بن مسلم الهجرى عن أبى الأحوص، عن عبد الله رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه» ، وروى من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك. وقال وكيع: حدثنا الأعمش عن أبى وائل قال: قال عبد الله: إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين. يا عبد الله هذا الطريق، هلم إلى الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن (٣).

وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهى عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما فى صحيح مسلم (٤) من حديث سهيل بن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك فى هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ إلى

---

(١) في المسند (١٤٨٨٨).
(٢) في التفسير (٤/ ٣١).
(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٣٣١٧).
(٤) مسلم (١٧١٥).

آخر الآية، وهذا السياق فى شأن الأوس والخزرج، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية، وعداة شديدة وضغائن وإحن وذحول، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام، فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله، متواصلين فى ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] إلى آخر الآية، وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم، فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان، وقد امتن عليهم بذلك رسول الله ﷺ يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم، بما فضل عليهم فى القسمة، بما أراه الله فخطبهم فقال «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بى. وكنتم متفرقين فألفكم الله بى، وعالة فأغناكم الله بى؟» فكلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ[(١)] . وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار[(٢)] وغيره: أن هذه الآية نزلت فى شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مَرّ بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم. وذكر عكرمة أن ذلك نزل فيهم حين تثاوروا فى قضية الإفك، والله أعلم.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، يعنى المجاهدين والعلماء.

وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ ثم قال «الخير اتباع القرآن وسنتى»[(٣)] رواه ابن مردويه.

---

(١) البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.
(٢) ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٨٨)، والطبري (٤/ ٢٥).
(٣) ضعيف: عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٩)، إلى ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر وهو منقطع، ولا شك أن المعنى صحيح لكن إثبات سنده فلا.

والمقصود من هذه الآية، أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت فى صحيح مسلم[١]، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وفى رواية: وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا سليمان الهاشمى، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أخبرنى عمرو بن أبى عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلى، عن حذيفة بن اليمان، أن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» ورواه الترمذى وابن ماجه[٣] من حديث عمرو بن أبى عمرو به، وقال الترمذى: حسن، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، مع الآيات الكريمة، كما سيأتى تفسيرها فى أماكنها، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية، ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين فى افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، مع قيام الحجة عليهم.

قال الإمام أحمد[٤]: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثنى أزهر بن عبد الله الهوزنى، عن أبى عامر عبد الله بن لُحَى، قال: حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة، قام حين صلى الظهر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتابين افترقوا فى دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعنى الأهواء - كلها فى النار إلا واحدة - وهى الجماعة - وإنه سيخرج فى أمتى أقوام تُجَارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به، وهكذا رواه أبو داود[٥] عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبى المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامى به، وقد ورد هذا الحديث من طرق.

وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعنى يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة قاله ابن عباس رضى الله عنهما، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال الحسن البصرى: وهم المنافقون ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وهذا الوصف يعم كل كافر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ يعنى الجنة ماكثون فيها أبدًا لا يبغون عنها حولاً، وقد قال أبو عيسى الترمذى[٦] عند تفسير هذه الآية: حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن ربيع وهو ابن صبيح وحماد بن سلمة، عن أبى غالب، قال: رأى أبو أمامة رؤوسًا منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أمامة، كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير

---

(١) مسلم (٤٩). (٢) في المسند (٢٢٧٩٠).
(٣) حسن: الترمذي (٢١٦٩)، وانظر صحيح الجامع (٧٠٧٠).
(٤) في المسند (١٦٤٩٠).
(٥) صحيح: أبو داود (٤٥٩٧)، وانظر صحيح الجامع، برقم (٢٦٤١).
(٦) حسن صحيح: الترمذي (٣٠٠٠)، وانظر صحيح الترمذي.

قتلى من قتلوه، ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية، قلت لأبى أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟: قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعًا - حتى عد سبعًا - ما حدثتكموه، ثم قال: هذا حديث حسن، وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبى غالب وأخرجه أحمد فى مسنده عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبى غالب بنحوه.

وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثًا مطولاً غريبًا عجيبًا جدًا، ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أى هذه آيات الله وحججه وبيناته نتلوها عليك يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أى نكشف ما الأمر عليه فى الدنيا والآخرة ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أى ليس بظالم لهم بل هو الحكم، العدل الذى لا يجور، لأنه القادر على كل شىء، العالم بكل شىء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدًا من خلقه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أى الجميع ملك له وعبيد له ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أى هو الحاكم المتصرف فى الدنيا والآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال البخارى(١): حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان عن ميسرة، عن أبى حازم، عن أبى هريرة رضى الله عنه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام، وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفى وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعنى خير الناس للناس، والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، ولهذا قال ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

قال الإمام أحمد(٢): حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا شريك، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج دُرّة بنت أبى لهب، عن درة بنت أبى لهب قالت: قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال «خير الناس أقرءوهم وأتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم» ورواه أحمد فى مسنده، والنسائى فى سننه، والحاكم فى مستدركه(٣)، من حديث سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

---

(١) البخاري (٤٥٥٧).

(٢) ضعيف: في المسند (٢٦٨٨)، وانظر ضعيف الجامع، برقم (٢٨٩٧).

(٣) أحمد في مسنده (٢٤٥٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٣)، برقم (١١٠٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣)، برقم (٣١٦٠).

والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة كل قرن بحسبه، وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال فى الآية الأخرى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أى خيارًا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

وفى مسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ومستدرك الحاكم (١) من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأنتم أكرم على الله عز وجل» وهو حديث مشهور، وقد حسنه الترمذى، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبى سعيد نحوه، وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبى قبله ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه، كما قال الإمام أحمد (٢): حدثنا عبد الرحمن، حدثنا ابن زهير، عن عبد الله يعنى ابن محمد بن عقيل، عن محمد بن على وهو ابن الحنفية: أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: قال رسول الله «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، فقلنا يا رسول الله ما هو؟ قال «نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد وجعل التراب لى طهورًا، وجعلت أمتى خير الأمم» تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناده حسن.

وقال الإمام أحمد (٣) أيضًا: حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار، حدثنا ليث عن معاوية عن أبى حلبس يزيد بن ميسرة، قال سمعت أم الدرداء رضى الله عنها تقول: سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها يقول «إن الله تعالى يقول: يا عيسى إنى باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم قال: يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمى وعلمى» . وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها ههنا.

قال الإمام أحمد (٤): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المسعودى حدثنا بكير بن الأخنس، عن رجل، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربى عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفًا» فقال أبو بكر رضى الله عنه: فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادى.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٥): حدثنا عبد الله بن بكر السهمى، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد، عن ميمون بن مهران، عن عبد الرحمن بن أبى بكر: أن

---

(١) حسن: أحمد في مسنده (١٩٥١٣)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٤)، برقم (٦٩٨٧). وانظر صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) صحيح: في المسند (٧٦٥)، وانظر الصحيحة، برقم (٣٩٣٩).

(٣) موضوع: في المسند (٢٦٩٩٧)، وانظر ضعيف الجامع برقم (٤٠٥٢).

(٤) صحيح: في المسند (٢٣). وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٨٤).

(٥) في المسند (١٧٠٨).

رسول الله ﷺ قال «إن ربى أعطانى سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب» فقال عمر، يا رسول الله فهلا استزدته فقال استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفًا» . قال عمر: فهلا استزدته؟ قال قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفًا» قال عمر: فهلا استزدته قال: «قد استزدته فأعطانى هكذا» ، وفرج عبد الله بن بكر بين يديه، وقال عبد الله: وبسط باعيه، وحثا عبد الله، وقال هشام: وهذا من الله لا يدرى ما عدده.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[1] : حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة قال: قال شريح بن عبيد: مرض ثوبان بحمص، وعليها عبد الله بن قرط الأزدى، فلم يعده، فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين عائدًا، فقال له ثوبان: أتكتب؟ قال: نعم، قال: اكتب، فكتب للأمير عبد الله بن قرط «من ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، أما بعد فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام بحضرتك خادم لعدته» ، ثم طوى الكتاب وقال له: أتبلغه إياه؟ قال: نعم، فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط، فلما رآه، قام فزعًا، فقال الناس: ما شأنه أحدث أمر؟ فأتى ثوبان حتى دخل عليه فعاده وجلس عنده ساعة، ثم قام فأخذ ثوبان بردائه، وقال: اجلس حتى أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ، يقول «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا» تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حمصيون، فهو حديث صحيح، ولله الحمد والمنة.

(طريق آخر) : قال الطبرانى[2] : حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصى، حدثنا محمد بن إسماعيل يعنى ابن عياش، حدثنى أبى، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد عن أبى أسماء الرحبى، عن ثوبان رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ربى عز وجل وعدنى من أمتى سبعين ألفًا لا يحاسبون، مع كل ألف سبعون ألفًا» هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبى أسماء الرحبى بين شريح وبين ثوبان، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[3] : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه، فقال «عرضت على الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة، والنبى ومعه العصابة، والنبى ومعه النفر، والنبى وليس معه أحد، حتى مر على موسى عليه السلام ومعه كَبْكَبَة من بنى إسرائيل، فأعجبونى فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل. قال: فقلت: فأين أمتى؟ فقيل: انظر عن يمينك، فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال فقيل لى أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب. ثم قيل لى: انظر عن يسارك. فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقيل لى: أرضيت؟ فقلت، رضيت يا رب - قال - فقيل لى: إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب» فقال النبى ﷺ : «فداكم أبى وأمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفًا فافعلوا، فإن

---

(١) صحيح: في المسند (٢١٨٠٠)، وانظر صحيح الجامع (٥٣٦٦).
(٢) المعجم الكبير (٢/ ٩٢)، برقم (١٤١٣).
(٣) في المسند (٣٧٩٦).

قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإنى قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون» فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، أى من السبعين، فدعا له، فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلنى منهم، فقال «قد سبقك بها عكاشة» قال: ثم تحدثنا فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف، قوم ولدوا فى الإسلام لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» هكذا رواه أحمد بهذا السند وهذا السياق، ورواه أيضًا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بإسناده مثله، وزاد بعد قوله «رضيت يا رب، رضيت يا رب، قال: رضيت، قلت: نعم. قال انظر عن يسارك - قال - فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقال: رضيت؟ قلت: رضيت» وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه تفرد به أحمد، ولم يخرجوه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[١] : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حماد عن عاصم عن زر، عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ : «عرضت على الأمم بالمواسم فراثت على أمتى، ثم رأيتهم فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم، قد ملئوا السهل والجبل، فقال: أرضيت يا محمد؟ فقلت: نعم. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت منهم» . فقام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» رواه الحافظ الضياء المقدسى، وقال: هذا عندى على شرط مسلم.

(حديث آخر) قال الطبرانى[٢] : حدثنا محمد بن الجذوعى القاضى، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا محمد بن أبى عدى عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ : «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب» قيل: من هم؟ قال «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» ورواه مسلم من طريق هشام بن حسان، وعنده ذكر عكاشة.

(حديث آخر) ثبت فى الصحيحين[٣] من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتى زمرة وهم سبعون ألفًا، تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» فقال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ «اللّهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار فقال مثله، فقال «سبقك بها عكاشة» .

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى[٤] : حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا سعيد بن أبى مريم، حدثنا أبو غسان عن أبى حازم، عن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون

---

(١) في المسند (٤٣٢٧).
(٢) الطبراني في الكبير (١٨/ ١٨٣)، برقم (٤٢٧).
(٣) البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦).
(٤) الطبراني في الكبير (٦/ ١٤٢)، برقم (٥٧٨٢).

ألفًا - أو سبعمائة ألف - آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» أخرجه البخارى ومسلم جميعًا عن قتيبة عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن سهل به.

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج فى صحيحه [(١)]: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، أنبأنا حصين بن عبد الرحمن، قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال، أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة؟ قلت: أنا، ثم قلت: أما إنى لم أكن فى صلاة، ولكنى لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: استرقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبى. قال: وما حدثكم الشعبى؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنه قال «لا رقية إلا من عين أو حمة»، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال «ما الذى تخوضون فيه؟» فأخبروه، فقال «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم. «قال: أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال «سبقك بها عكاشة» وأخرجه البخارى عن أسيد بن زيد عن هشيم، وليس عنده: لا يرقون.

(حديث آخر) قال أحمد [(٢)]: حدثنا روح بن عبادة، حدثنا ابن جريج، أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر حديثًا، وفيه فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء» ثم كذلك، وذكر بقيته، رواه مسلم من حديث روح، غير أنه لم يذكر النبى ﷺ.

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن أبى عاصم [(٣)] فى كتاب السنن له: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد، سمعت أبا أمامة الباهلى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعون ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربى عز وجل» وكذا رواه الطبرانى [(٤)] من طريق هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش به، وهذا إسناد جيد.

---

(١) مسلم (٢٢٠).
(٢) في المسند (١٤٦٩٥).
(٣) ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦١)، برقم (٥٨٩).
(٤) الطبراني في الكبير (٨/ ١٢٩)، برقم (٧٥٢٠).

(طريق أخرى) عن أبى أمامة. قال ابن أبى عاصم[١]، حدثنا دحيم، حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبى اليمان الهَوْزنى واسمه عامر بن عبد الله بن لُحَى، عن أبى أمامة عن رسول الله، قال: «إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب» فقال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك فى أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب فى الذباب، قال رسول الله ﷺ «فإن الله وعدنى سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعون ألفًا وزادنى ثلاث حثيات»، وهذا أيضًا إسناد حسن،

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى[٢]: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عامر بن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «إن ربى عز وجل وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثى ربى عز وجل بكفيه ثلاث حثيات» فكبر عمر وقال: إن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأبنائهم وعشائرهم، وأرجو أن يجعلنى الله فى إحدى الحثيات الأواخر، قال الحافظ الضياء أبو عبد الله المقدسى فى كتابه صفة الجنة: لا أعلم لهذا الإسناد علة، والله أعلم.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[٣]: حدثنى يحيى بن سعيد، حدثنا هشام يعنى الدستوائى، حدثنا يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة، حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهنى حدثه، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال: بقديد فذكر حديثًا وفيه ثم قال «وعدنى ربى عز وجل أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب، وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن فى الجنة» قال الضياء: وهذا عندى على شرط مسلم.

(حديث آخر) قال عبد الرزاق[٤]: أنبأنا معمر عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى أربعمائة ألف». قال أبو بكر رضى الله عنه: زدنا يا رسول الله. قال: «والله هكذا». فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعنى وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكف واحد، فقال النبى ﷺ «صدق عمر» هذا الحديث بهذا الإسناد تفرد به عبد الرزاق. قاله الضياء وقد رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن مخلد، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال عن قتادة، عن أنس، عن النبى ﷺ قال: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى مائة ألف» فقال أبو بكر: يا رسول الله، زدنا. قال: «وهكذا» وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك، قلت: يا رسول الله، زدنا فقال عمر: إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول الله ﷺ «صدق عمر»، هذا حديث غريب من هذا الوجه. وأبو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبى بصرى.

---

(١) صحيح: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٠)، برقم (٥٨٨)، وانظر «ظلال الجنة» للألباني برقم (٥٨٨).
(٢) في الكبير (١٧/ ١٢٦)، برقم (٣١٢).
(٣) صحيح: في المسند (١٥٧٨٥)، وانظر صحيح الترغيب، برقم (١٥٢٣).
(٤) في مصنفه (١١/ ٢٨٦)، برقم (٢٠٥٥٦).

(طريق آخر) عن أنس. قال الحافظ أبو يعلى [١]: حدثنا محمد بن أبى بكير، حدثنا عبد القاهر بن السرى السلمى، حدثنا حميد عن أنس، عن النبى ﷺ قال «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا» قالوا: زدنا يا رسول الله. قال: «لكل رجل سبعون ألفًا». قالوا: زدنا، وكان على كثيب، فقال «هكذا» وحثا بيده، قالوا: يا رسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا، وهذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات، ما عدا عبد القاهر بن السرى، وقد سئل عنه ابن معين فقال: صالح.

(حديث آخر) روى الطبرانى [٢] من حديث قتادة عن أبى بكر بن أنس، عن أبى بكر بن عمير، عن أبيه أن النبى ﷺ، قال: «إن الله وعدنى أن يدخل من أمتى ثلثمائة ألف الجنة بغير حساب» فقال عمير: يا رسول الله، زدنا، فقال: هكذا، بيده، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا فقال عمر: حسبك إن الله إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة، فقال نبى الله ﷺ «صدق عمر».

(حديث آخر) قال الطبرانى [٣]: حدثنا أحمد بن خليد، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثنى عبد الله بن عامر أن قيسًا الكندى حدثه أن أبا سعيد الأنمارى حدثه أن رسول الله ﷺ، قال: «إن ربى وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا بغير حساب، ويشفع كل ألف لسبعين ألفًا، ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه». كذا قال قيس، فقلت لأبى سعيد: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بأذنى، ووعاه قلبى، قال أبو سعيد: فقال يعنى رسول الله ﷺ: «وذلك إن شاء الله عز وجل يستوعب مهاجرى أمتى ويوفى الله بقيته من أعرابنا» وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر عن أبى توبة الربيع بن نافع بإسناده مثله، وزاد: قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ، فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألف ألف.

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبرانى [٤]: حدثنا هشيم بن مرثد الطبرانى، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثنى أبى، حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد، عن أبى مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أما والذى نفس محمد بيده ليبعثن منكم يوم القيامة إلى الجنة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يَخْبِطون الأرض، تقول الملائكة: لم جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الأنبياء؟» وهذا إسناد حسن.

(حديث آخر) من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل، وأنها خير الأمم فى الدنيا والآخرة، قال الإمام أحمد [٥]: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا ابن جريج، أخبرنى أبو الزبير عن جابر أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إنى لأرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة» قال: فكبرنا، ثم قال: «أرجو أن يكونوا ثلث الناس» قال: فكبرنا، ثم قال: «أرجو أن تكونوا الشطر»، وهكذا رواه عن روح عن ابن جريج به، وهو على شرط مسلم. وثبت فى

---

(١) أبو يعلى في مسنده (٦/ ٤١٧)، برقم (٣٧٨٣).
(٢) في المعجم الكبير (١٧/ ٦٤)، برقم (١٢٣).
(٣) في الأوسط (١/ ١٢٨)، برقم (٤٠٤).
(٤) في المعجم الكبير (٣/ ٢٩٧)، برقم (٣٤٥٥).
(٥) في المسند (١٤٦٩٤).

الصحيحين (١) من حديث أبى إسحاق السبيعى عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» فكبرنا، ثم قال «إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

(طريق أخرى) عن ابن مسعود. قال الطبرانى (٢): حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنى الحارث بن حَصِين، حدثنى القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «كيف أنتم وثلثها؟» قالوا: ذاك أكثر، قال: «كيف أنتم والشطر لكم؟» قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، لكم منها ثمانون صفًا» قال الطبرانى: تفرد به الحارث بن حَصِين.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٣): حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا ضرار بن مرة أبو سنان الشيبانى عن محارب بن دِثار، عن ابن بريدة، عن أبيه، أن النبى ﷺ قال «أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفًا» وكذا رواه عن عفان عن عبد العزيز به، وأخرجه الترمذى من حديث أبى سنان به، وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه به.

(حديث آخر) روى الطبرانى (٤) من حديث سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى: حدثنا خالد بن يزيد البجلى، حدثنا سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه، عن جده عن النبى ﷺ، قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتى» تفرد به خالد بن يزيد البجلى، وقد تكلم فيه ابن عدى.

(حديث آخر) قال الطبرانى (٥): حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا موسى بن غيلان، حدثنا هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان، عن أبى عمرو، عن أبيه عن أبى هريرة، قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠] قال رسول الله ﷺ «أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة». وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه، الناسُ لنا فيه تبع، غدًا لليهود وللنصارى بعد غد» رواه البخارى ومسلم (٦) من حديث عبد الله بن طاوس عن أبيه، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، مرفوعًا بنحوه، ورواه مسلم أيضًا من طريق الأعمش عن أبى

---

(١) البخاري (٦٦٤٢)، ومسلم (٢٢١).
(٢) في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٨)، برقم (١٠٣٥٠).
(٣) في المسند (٢٢٤٩٣).
(٤) في المعجم الكبير (١٠/ ٣٤٨)، برقم (١٠٦٨٢).
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠١) من طريق الطبراني.
(٦) البخاري (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥).

صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة» وذكر تمام الحديث.

(حديث آخر) روى الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»، ثم قال: انفرد به ابن عقيل عن الزهري، ولم يرو عنه سواه، وتفرد به زهير بن محمد عن ابن عقيل، وتفرد به عمرو بن أبي سلمة عن زهير. وقد رواه أبو أحمد بن عدي الحافظ، فقال: حدثنا أحمد بن الحسين بن إسحاق، حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي عتّاب، حدثنا أبو حفص التنيسي - يعني عمرو بن أبي سلمة - حدثنا صدقة الدمشقي عن زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري. ورواه الثعلبي: حدثنا أبو العباس المخلدي أنبانا أبو نعيم عبد الملك بن محمد، أنبانا أحمد بن عيسى التنيسي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا صدقة بن عبد الله عن زهير بن محمد عن ابن عقيل به.

فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، رأى من الناس دعة، فقرأ هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله فيها، رواه ابن جرير، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] الآية، ولهذا لما مدح تعالى هذه الأمة على هذه الصفات، شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي بما أنزل على محمد ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي قليل منهم من يؤمن با لله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان.

ثم قال تعالى مخبرًا عباده المؤمنين ومبشرًا لهم أن النصر والظفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين، فقال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١)﴾ وهكذا وقع، فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم أنوفهم، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن، وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولا تزال عصابة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم كذلك، ويحكم بملة الإسلام وشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.

ثم قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي أمان منهم لهم، كما في المهادن والمعاهَد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين، ولو امرأة، وكذا عبد على أحد قولي العلماء، قال ابن عباس ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ أي بعهد من الله وعهد من الناس وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك

والحسن وقتادة والسدى والربيع بن أنس.

وقوله ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أى ألزموا فالتزموا بغضب من الله وهم يستحقونه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أى ألزموها قدرًا وشرعًا. ولهذا قال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أى وإنما حملهم على ذلك الكبر والبغى والحسد فأعقبهم ذلك الذلة والصغار والمسكنة أبدًا متصلاً بذل الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أى إنما حملهم على الكفر بآيات الله وقتل رسل الله، وقيضوا لذلك - أنهم كانوا يكثرون العصيان لأوامر الله عز وجل والغشيان لمعاصى الله، والاعتداء فى شرع الله، فعياذًا بالله من ذلك، والله عز وجل المستعان. قال ابن أبى حاتم (١): حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسى، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن أبى معمر الأزدى، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: كانت بنو إسرائيل تقتل فى اليوم ثلثمائة نبى، ثم يقوم سوق بقلهم آخر النهار.

ربع الحزب ٧

﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُولَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

قال ابن أبى نجيح: زعم الحسن بن يزيد العجلى، عن ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ قال: لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ، وهكذا قال السدى. ويؤيد هذا القول الحديث الذى رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (٢): حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى، قالا: حدثنا شيبان عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم» قال: فنزلت هذه الآيات ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفى عن ابن عباس - أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وغيرهم، أى لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ أى ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ أى قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه، متبعة نبى الله، فهى قائمة، يعنى مستقيمة ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أى يقومون الليل ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن فى صلواتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٧/ ١٠٢).

(٢) المسند (٣٧٥١).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وهؤلاء هم المذكورون فى آخر السورة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩]، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ أى لا يضيع عند الله، بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أى لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً. ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفرة المشركين بأنه ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أى لا يرد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار فى هذه الدار، قاله مجاهد والحسن والسدى، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أى برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم.

وقال عطاء: برد وجليد، وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ أى نار وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ أى فأحرقته، يعنى بذلك السفعة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده، فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه. فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم فى هذه الدنيا وثمرتها، كما أذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه. وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أى يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم، لا يألون المؤمنين خبالاً، أى يسعون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم، وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أى من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخلة أمره. وقد روى البخارى والنسائى [1] وغيرهما، من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبى عتيق عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال «ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له

(١) البخاري (٦٦١١)، والنسائي (٤٢٠٢)، وأحمد في مسنده (١٠٩٤٩).

بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله»، وقد رواه الأوزاعى ومعاوية بن سلام عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة مرفوعًا بنحوه، فيحتمل أنه عند الزهرى عن أبى سلمة عنهما وأخرجه النسائى عن الزهرى أيضًا، وعلقه البخارى فى صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن أبى جعفر عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة عن أبى أيوب الأنصارى مرفوعًا فذكره فيحتمل أنه عند أبى سلمة عن ثلاثة من الصحابة، والله أعلم.

وقال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا أبى، حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان، حدثنا عيسى بن يونس عن أبى حيان التيمى، عن أبى الزنباع، عن ابن أبى الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن ههنا غلامًا من أهل الحيرة حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبًا، فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين. ففى هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم فى الكتابة التى فيها استطالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التى يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾.

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هشيم، حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد، قال: كانوا يأتون أنسًا فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو، أتوا الحسن يعنى البصرى، فيفسره لهم، قال: فحدث ذات يوم عن النبى ﷺ أنه قال «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًا» فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسًا حدثنا أن رسول الله ﷺ قال «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًا» فقال الحسن: أما قوله «لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًا»: محمد ﷺ، وأما قوله «لا تستضيئوا بنار المشركين» يقول: لا تستشيروا المشركين فى أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك فى كتاب الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [(٢)] هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله تعالى، وقد رواه النسائى عن مجاهد بن موسى، عن هشيم، ورواه الإمام أحمد [(٣)] عن هشيم بإسناده مثله فى غير ذكر تفسير الحسن البصرى، وهذا التفسير فيه نظر ومعناه ظاهر «لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًا» أى بخط عربى، لئلا يشابه نقش خاتم النبى ﷺ، فإنه كان نقشه محمد رسول الله، ولهذا جاء فى الحديث الصحيح أنه نهى أن ينقش أحد على نقشه. وأما الاستضاءة بنار المشركين، فمعناه لا تقاربوهم فى المنازل بحيث تكونون معهم فى بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم، ولهذا روى أبو داود «لا تتراءى ناراهما» [(٤)] وفى الحديث الآخر «من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله» [(٥)] فحمل الحديث على ما قاله الحسن رحمه الله، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أى قد لاح على صفحات

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٠٠)، برقم (١٢٧٤).

(٢) أخرجه البيهقى في الكبرى (١٠/ ١٢٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٤٥٤).

(٣) في المسند (١١٥٤٣).

(٤) صحيح: أبو داود (٢٦٤٥)، من حديث جرير، وانظر صحيح سنن أبي داود.

(٥) حسن: أبو داود (٢٧٨٧)، من حديث سمرة بن جندب، وانظر صحيح الجامع، برقم (٦١٨٦).

وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه فى صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أى أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين بما يظهرونه لكم من الإيمان فتحبونهم على ذلك، وهم لا يحبونكم لا باطنًا ولا ظاهرًا، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أى ليس عندكم فى شىء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة. وقال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن أبى محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أى بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم، رواه ابن جرير، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ والأنامل أطراف الأصابع، قاله قتادة. وقال الشاعر:

أودُّ كما ما بلَّ حلقي ريقتي … وما حملت كفاى أنملى العشرا

وقال ابن مسعود والسدى والربيع بن أنس: الأنامل الأصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة، وهم فى الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ وذلك أشد الغيظ والحنق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين ومكمل دينه، ومعل كلمته ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى هو عليم بما تنطوى عليه ضمائركم وتكنه سرائركم من البغضاء والحسد والغلّ للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه فى الدنيا بأن يريكم خلاف ما تؤمّلون، وفى الآخرة بالعذاب الشديد فى النار التى أنتم خالدون فيها لا محيد لكم عنها، ولا خروج لكم منها. ثم قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أى جدب أو أديل عليهم الأعداء، لما لله تعالى فى ذلك من الحكمة - كما جرى يوم أُحد - فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الآية، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به. وهو الذى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع فى الوجود شىء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه. ثم شرع تعالى فى ذكر قصة أحد وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين. والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان صبر الصابرين فقال تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾

المراد بهذه الوقعة يوم أحد عند الجمهور، قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغير واحد.

وعن الحسن البصرى: المراد بذلك يوم الأحزاب. رواه ابن جرير، وهو غريب لا يعول عليه. وكانت وقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة.

قال قتادة: لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال. وقال عكرمة: يوم السبت للنصف من شوال، فالله أعلم، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التى كانت مع أبى سفيان فلما رجع قَفَلُهُم إلى مكة قال أبناء من قتل، ورؤساء من بقى لأبى سفيان: أرصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها فى ذلك، فجمعوا الجموع والأحابيش، وأقبلوا فى نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة، فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فلما فرغ منها صلى على رجل من بنى النجار يقال له مالك بن عمرو، واستشار رسول الله ﷺ الناس «أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة» فأشار عبد الله بن أبى بالمقام بالمدينة، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته وخرج عليهم، وقد ندم بعضهم وقالوا: لعلنا استكرهنا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إن شئت أن نمكث، فقال رسول الله ﷺ «ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يرجع حتى يحكم الله له»[(1)] فسار ﷺ فى ألف من أصحابه، فلما كانوا بالشوط، رجع عبد الله بن أبى فى ثلث الجيش مغضبًا لكونه لم يرجع إلى قوله، وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالاً لاتبعناكم، ولكنا لا نراكم تقاتلون اليوم. واستمر رسول الله ﷺ سائرًا حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى. وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال «لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال». وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو فى سبعمائة من أصحابه. وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بنى عمرو بن عوف. والرماة يومئذ خمسون رجلاً، فقال لهم «انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم» وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بنى عبد الدار. وأجاز رسول الله ﷺ بعض الغلمان يومئذ وأرجأ آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل، ودفعوا اللواء إلى بنى عبد الدار، ثم كان بين الفريقين ما سيأتى تفصيله فى مواضعه عند هذه الآيات، إن شاء الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ أى تنزلهم منازلهم، وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أى سميع لما تقولون، عليم بضمائركم.

وقد أورد ابن جرير ههنا سؤالاً حاصله: كيف تقولون إن النبى ﷺ خرج إلى أحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ الآية ثم كان جوابه عنه: أن غدوه ليبوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٣٧٣).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية، قال البخارى[١]: حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال عمر: سمعت جابر بن عبد الله يقول: فينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية، قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة. وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرنى أنها لم تنزل لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به. وكذا قال غير واحد من السلف: إنهم بنو حارثة وبنو سلمة. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ أى يوم بدر، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك، وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فرسان وسبعون بعيرًا، والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه. وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف فى سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلى الزائد، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبى وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أى قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعُدد، ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سماك، قال: سمعت عياضًا الأشعرى قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة، ويزيد بن أبى سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض وليس عياض هذا الذى حدث سماكًا قال: وقال عمر: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال فكتبنا إليه إنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا إنه قد جاءنى كتابكم تستمدوننى، وإنى أدلكم على من هو أعز نصرًا، وأحصن جندًا: الله عز وجل فاستنصروه، فإن محمدًا ﷺ قد نصر يوم بدر فى أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابى هذا، فقاتلوهم ولا تراجعونى، قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ، قال: وأصبنا أموالاً فتشاورنا، فأشار علينا عياض أن نعطى عن كل ذى رأس عشرة، قال: وقال أبو عبيدة: من يراهننى؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب قال: فسبقه فرأيت عقيصتى أبى عبيدة تَنْقُزان وهو خلفه على فرس عُرْى، وهذا إسناد صحيح، وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه، واختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه، وبدر: محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها، منسوبة إلى رجل حفرها، يقال له: بدر بن النارين، قال الشعبى: بدر بئر لرجل يسمى بدرًا، وقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أى تقومون بطاعته.

---

(١) البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥).

(٢) في المسند (٣٤٦).

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن
تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾
لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

اختلف المفسرون فى هذا الوعد، هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين (أحدهما) أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[آل عمران: ١٢٣] وروى هذا عن الحسن البصرى وعامر الشعبى والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير قال عباد بن منصور عن الحسن فى قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ قال: هذا يوم بدر، رواه ابن أبى حاتم. ثم قال: حدثنا أبى، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا داود عن عامر يعنى الشعبى: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغت كُرْزًا الهزيمة، فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله تعالى فى قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٩-١٠]؟ فالجواب أن التنصيص على الألف - ههنا - لا ينافى الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال: ٩] بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق فى سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم. وقال سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة: أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف. (القول الثانى) - أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران: ١٢١] وذلك يوم أُحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عقبة وغيرهم. لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ، زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد وقوله: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ يعنى: تصبروا على مصابرة عدوكم، وتتقونى وتطيعوا أمرى. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ قال الحسن وقتادة والربيع والسدى: أى من وجههم هذا، وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح: أى من غضبهم هذا. وقال الضحاك: من غضبهم ووجههم. وقال العوفى عن ابن عباس: من سفرهم هذا، ويقال: من غضبهم هذا. وقوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أى معلمين بالسيما، وقال أبو إسحاق السبيعى عن حارثة بن مضرب، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: كان سيما الملائكة يوم بدر

obeikandl.com

الصوف الأبيض، وكان سيماهم أيضًا فى نواصى خيولهم، رواه ابن أبى حاتم. ثم قال: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه فى هذه الآية ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: بالعهن الأحمر، وقال مجاهد: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أى محذفة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض فى أذناب الخيل. وقال العوفى، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: أتت الملائكة محمدًا ﷺ، مسومين بالصوف، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف. وقال قتادة وعكرمة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أى بسيما القتال، وقال مكحول: مسومين بالعمائم. وروى ابن مردويه [1] من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال «معلمين». وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمر. وروى من حديث حصين بن مخارق عن سعيد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر [2].

وقال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان سيما الملائكة يوم بدر، عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمر. ولم تضرب الملائكة فى يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون، ثم رواه عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس فذكر نحوه.

وقال ابن أبى حاتم [3]: حدثنا الأحمسى، حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضى الله عنه، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، فذكره. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ أى وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالهم إلا بشارة لكم وتطييبًا لقلوبكم وتطمينًا، وإلا فإنما النصر من عند الله الذى لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦] ولهذا قال ههنا ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ أى هو ذو العزة التى لا ترام، والحكمة فى قدره والأحكام.

ثم قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أى أمركم بالجهاد والجلاد لما له فى ذلك من الحكمة فى كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة فى الكفار المجاهدين، فقال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أى ليهلك أمة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أى يخزيهم ويردهم بغيظهم لما لم ينالوا منكم ما أرادوا. ولهذا قال: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟﴾ أى يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ أى لم يحصلوا على ما أملوا. ثم اعترض بجملة دلت على أن الحكم فى الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ أى بل الأمر كله إلى، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وقال ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٢٥)، برقم (١٣٦٨).
(٢) أخرجه الطبراني في تفسيره (٧/ ١٧٥).
(٣) ابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٥٢٨)، برقم (١٣٧٤).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦] قال محمد بن إسحاق فى قوله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتك به فيهم، ثم ذكر تعالى بقية الأقسام، فقال ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أى مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ أى فى الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم، ولهذا قال ﴿فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ أى يستحقون ذلك. وقال البخارى [1]: حدثنا حبان بن موسى، أنبأنا عبد الله، أنبأنا معمر عن الزهرى، حدثنى سالم عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الثانية من الفجر «اللَّهم العن فلانًا وفلانًا» بعدما يقول سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ الآية وهكذا رواه النسائى [2] من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق، كلاهما عن معمر به.

وقال الإمام أحمد [3] حدثنا أبو النضر حدثنا أبو عقيل - قال أحمد: وهو عبد الله بن عقيل صالح الحديث ثقة - حدثنا عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللَّهم العن فلانًا وفلانًا، اللَّهم العن الحارث بن هشام، اللَّهم العن سهيل بن عمرو، اللَّهم العن صفوان بن أمية» فنزلت هذه الآية ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾ فتيب عليهم كلهم وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية الغَلابى، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا محمد بن عجلان عن نافع، عن عبد الله، أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة، قال: فأنزل الله ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ إلى آخر الآية، قال: وهداهم الله للإسلام.

قال البخارى: وقال محمد بن عجلان عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ الآية، وقال البخارى [4] أيضًا: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، وأبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد، أو يدعو لأحد، قنت بعد الركوع وربما قال: إذا قال «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد: اللَّهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللَّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» يجهر بذلك. وكان يقول فى بعض صلاته فى صلاة الفجر «اللَّهم العن فلانًا وفلانًا» لأحياء من أحياء العرب، حتى أنزل الله ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ الآية.

وقال البخارى [5]: قال حميد وثابت، عن أنس بن مالك: شج النبى ﷺ يوم أحد، فقال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ وقد أسند هذا الحديث الذى علقه البخارى فى صحيحه، فقال البخارى [6] فى غزوة أحد: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمى، أخبرنا عبد الله،

---

(١) البخاري (٤٥٥٩). (٢) النسائي (١٠٧٨).
(٣) في المسند (٥٦٤١). (٤) البخاري (٤٥٦٠).
(٥) أخرجه البخاري تعليقًا عقب حديث (٤٠٦٨).
(٦) البخاري (٤٠٦٩).

أخبرنا معمر عن الزهرى، حدثنى سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر «اللّهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا» بعدما يقول «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. وعن حنظلة بن أبى سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ هكذا ذكر هذه الزيادة البخارى معلقة مرسلة، وقد تقدمت مسندة متصلة فى مسند أحمد آنفًا.

وقال الإمام أحمد (١): حدثنا هشيم، حدثنا حميد عن أنس رضى الله عنه، أن النبى ﷺ، كسرت رباعيته يوم أحد، وشج فى جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ انفرد به مسلم، فرواه عن القعنبى، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، فذكره.

وقال ابن جرير (٢): حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح: حدثنا الحسين بن واقد عن مطر، عن قتادة، قال: أصيب النبى ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبى حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول «كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل؟» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه، ولم يقل: فأفاق. ثم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أى الجميع ملك له، وأهلهما عبيد بين يديه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أى هو المتصرف فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

نصف الحزب ٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن تعاطى الربا وأكله أضعافًا مضاعفة كما كانوا فى الجاهلية يقولون: إذا حل أجل الدين، إما أن تقضى وإما أن تربى، فإن قضاه، وإلا زاده فى المدة، وزاده الآخر فى القدر، وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرًا مضاعفًا، وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون فى الأولى والأخرى، ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) فى المسند (١١٥٤٥). (٢) فى التفسير (٤/ ٨٧).

﴿وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ أى كما أعدت النار للكافرين، وقد قيل إن معنى قوله ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ تنبيهًا على اتساع طولها، كما قال فى صفة فرش الجنة ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤] أى فما ظنك بالظهائر؟، وقيل: بل عرضها كطولها لأنها قبة تحت العرش، والشىء المقبب والمستدير عرضه كطوله، وقد دل على ذلك ما ثبت فى الصحيح [١] «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفها عرش الرحمن» وهذه الآية كقوله تعالى فى سورة الحديد ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآية، وقد روينا فى مسند الإمام أحمد [٢] أن هرقل كتب إلى النبى ﷺ إنك دعوتنى إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال النبى ﷺ «سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقد رواه ابن جرير [٣] فقال: حدثنى يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرنى مسلم بن خالد عن ابن خُثيم، عن سعيد بن أبى راشد، عن يعلى بن مرة، قال: لقيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فسد، فقال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قال: قلت: من صاحبكم الذى يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتاب صاحبى: إنك كتبت تدعونى إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين، فأين النار؟ قال: فقال رسول الله ﷺ «سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟» وقال الأعمش وسفيان الثورى وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب: إن ناسًا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة، رواه ابن جرير [٤] من ثلاثة طرق، ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن برقان، أنبأنا يزيد بن الأصم: أن رجلاً من أهل الكتاب قال: يقولون عنهما ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ فقال ابن عباس رضى الله عنه: أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ وقد روى هذا مرفوعًا، فقال البزار [٥]: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبى هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ قال: «أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شىء، فأين النهار؟» قال: حيث شاء الله، قال «وكذلك النار تكون حيث شاء الله عز وجل» وهذا يحتمل معنيين:

(أحدهما) أن يكون المعنى فى ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون فى مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عز وجل، وهذا أظهر كما تقدم فى حديث أبى هريرة عن البزار.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة.

(٢) حسن: المسند (١٥٢٢٨)، من حديث التنوخي.

(٣) حسن: ابن جرير في تفسيره (٤/ ٩٢).

(٤) ابن جرير في تفسيره (٤/ ٩٢).

(٥) البزار في مسنده (٢١٩٦- كشف) قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٧): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(الثانى) أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة فى أعلى عليين فوق السموات تحت العرش وعرضها، كما قال الله عز وجل ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والنار فى أسفل سافلين فلا تنافى بين كونها كعرض السموات والأرض وبين وجود النار، والله أعلم.

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أى فى الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وفى جميع الأحوال، كما قال ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق فى مراضيه. والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أى إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم. وقد ورد فى بعض الآثار «يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرنى إذا غضبت، أذكرك إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك»، رواه ابن أبى حاتم، وقد قال أبو يعلى[1] فى مسنده: حدثنا أبو موسى الزمن، حدثنا عيسى بن شعيب الضرير أبو الفضل، حدثنى الربيع بن سليمان الجيزى عن أبى عمرو بن أنس بن مالك، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «من كف غضبه، كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه، ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله، قبل الله عذره» وهذا حديث غريب، وفى إسناده نظر، وقال الإمام أحمد[2]: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا مالك عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» وقد رواه الشيخان[3] من حديث مالك. وقال الإمام أحمد أيضًا[4]: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى، عن الحارث بن سويد، عن عبد الله وهو ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله» قال: قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال «اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا ما قدمت، ومالُ وارثك ما أخرتَ» قال: وقال رسول الله ﷺ «ما تعدون الصرعة فيكم؟» قلنا: الذى لا تصرعه الرجال. قال «لا ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب». قال: قال رسول الله ﷺ: ما تعدون فيكم الرقوب؟» قلنا: الذى لا ولد له. قال «لا، ولكن الرقوب الذى لم يقدم من ولده شيئًا» أخرج البخارى[5] الفصل الأول منه، وأخرج مسلم[6] أصل هذا الحديث، من رواية الأعمش به.

---

(١) حسن: أبو يعلى (٧/ ٣٠٢) برقم (٤٣٣٨) من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن الربيع بن سليم قال: حدثني أبو عمرو مولى أنس أنه سمع أنسًا يقول.. قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٩٨): فيه الربيع بن سليمان الأزدي، وهو ضعيف. وللحديث شواهد، انظر: السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٦٠).

(٢) صحيح: المسند (٧١٧٨).

(٣) البخاري برقم (٦١١٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٩).

(٤) صحيح: المسند (٣٦١٩).

(٥) البخاري برقم (٦٤٤٢) من حديث الأعمش.

(٦) مسلم برقم (٢٦٠٨) من حديث الأعمش.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[١] : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة سمعت عروة بن عبد الله الجعفى يحدث عن أبى حصبة أو ابن أبى حصين، عن رجل شهد النبى ﷺ يخطب، فقال «أتدرون ما الرقوب؟» قلنا: الذى لا ولد له، قال «الرقوب كل الرقوب الذى له ولد فمات ولم يقدم منهم شيئًا» قال «أتدرون ما الصعلوك؟» قالوا: الذى ليس له مال، فقال النبى ﷺ «الصعلوك كل الصعلوك الذى له مال فمات ولم يقدم منه شيئًا» قال: ثم قال النبى ﷺ «ما الصرعة؟» قالوا: الصريع الذى لا تصرعه الرجال، قال فقال ﷺ «الصرعة كل الصرعة الذى يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه» .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٢] : حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن الأحنف بن قيس، عن عم له يقال له جارية بن قدامة السعدى، أنه سأل رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، قل لى قولاً ينفعنى وأقلل على لعلى أعيه، فقال رسول الله ﷺ : «لا تغضب» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا كل ذلك يقول «لا تغضب» ، وهكذا رواه عن أبى معاوية عن هشام به، ورواه أيضًا عن يحيى بن سعيد القطان عن هشام به، أن رجلًا قال: يا رسول الله، قل لى قولاً وأقلل على لعلى أعقله، فقال «لا تغضب» الحديث، انفرد به أحمد.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٣] : حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن الزهرى، عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله أوصنى، قال: «لا تغضب» . قال الرجل: ففكرت حين قال النبى ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله، انفرد به أحمد.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا أبو معاوية، حدثنا داود بن أبى هند، عن أبى ابن حرب بن أبى الأسود، عن أبى الأسود، عن أبى ذر رضى الله عنه قال: كان يسقى على حوض له فجاء قوم فقالوا: أيكم يورد على أبى ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه، وكان أبو ذر قائمًا فجلس ثم اضطجع فقيل له: يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت، فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» ، ورواه أبو داود[٥] عن أحمد بن حنبل بإسناده إلا أنه وقع فى روايته عن أبى حرب عن أبى ذر، والصحيح ابن أبى حرب عن أبيه عن أبى ذر، كما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٦] : حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا أبو وائل الصنعانى، قال: كنا جلوسًا عند عروة بن محمد إذ دخل عليه رجل فكلمه بكلام أغضبه، فلما أن أغضبه قام ثم عاد إلينا وقد توضأ، فقال: حدثنى أبى عن جدى عطية هو ابن سعد السعدى - وقد كانت له صحبة - قال: قال

---

(١) المسند (٢٢٦٠٥) قال الهيثمي في المجمع (٣/ ١١): فيه أبو حصنة أو ابن حصنة قال الحسيني: مجهول وبقية رجاله ثقات.
(٢) صحيح: المسند (١٩٨٤٤).
(٣) صحيح: المسند (٢٢٦٦٠).
(٤) صحيح: المسند (٢٠٨٤١).
(٥) صحيح: أبو داود برقم (٤٧٨٢).
(٦) ضعيف: المسند (١٧٥٢٤)، انظر: ضعيف الجامع برقم (١٥١٠).

رسول الله «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا أغضب أحدكم فليتوضأ». وهكذا رواه أبو داود[(١)] من حديث إبراهيم بن خالد الصنعانى عن أبى وائل القاص المرادى الصنعانى، قال أبو داود: أراه عبد الله بن بحير.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[(٢)]: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا نوح بن جَعْونة السلمى، عن مقاتل بن حيان، عن عطاء، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «من أنظر معسرًا أو وضع له، وقاه الله من فيح جهنم، ألا إن عمل الجنة حزن بربوة - ثلاثًا - ألا إن عمل النار سهل بشهوة. والسعيد من وقى الفتن، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا»، انفرد به أحمد، وإسناده حسن ليس فيه مجروح، ومتنه حسن.

(حديث آخر فى معناه) - قال أبو داود[(٣)]: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى عن بشر يعنى ابن منصور، عن محمد بن عجلان، عن سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب النبى ﷺ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، ملأه الله أمنًا وإيمانًا، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه - قال بشر: أحسبه قال: تواضعًا - كساه الله حلة الكرامة ومن زوّج لله كساه الله تاج الملك».

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[(٤)]: حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا سعيد، حدثنى أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله قال «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء» ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه[(٥)] من حديث سعيد بن أبى أيوب به، وقال الترمذى: حسن غريب.

(حديث آخر) - قال عبد الرزاق: أنبأنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل، عن عم له، عن أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أن النبى ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنًا وإيمانًا» رواه ابن جرير[(٦)].

(حديث آخر) - قال ابن مردويه[(٧)]: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، أنبأنا يحيى بن أبى طالب، أنبأنا على بن عاصم، أخبرنى يونس بن عبيد عن الحسن، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «ما تجرع عبد من جرعة أفضل أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر، عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد به، فقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أى لا يعملون غضبهم فى الناس بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أى مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم فلا يبقى فى أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا من مقامات

---

(١) أبو داود برقم (٤٧٨٣).
(٢) صحيح: المسند (٣٠٠٨).
(٣) أبو داود برقم (٤٧٧٧).
(٤) حسن: المسند (١٥٢١٠).
(٥) حسن: أبو داود برقم (٤٧٧٧)، الترمذي برقم (٢٠٢١)، ابن ماجه برقم (٤١٨٦).
(٦) ضعيف من هذا الوجه: ابن جرير في تفسيره (٤/ ٩٤) من طريق عبد الرزاق به، وللحديث شواهد: إسنادها حسن، من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنهما.
(٧) من هذا الطريق أخرجه أحمد (٦٠٧٩)؛ وفيه علي بن عاصم: كثير الخطأ.

الإحسان، وفى الحديث «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، ومن تواضع لله رفعه الله»[١]، وروى الحاكم[٢] فى مستدركه من حديث موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن طلحة القرشى، عن عبادة بن الصامت، عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ، قال: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه» ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وقد أورده ابن مردويه[٣] من حديث على وكعب بن عجرة وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله عنهم بنحو ذلك. وروى عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقول: أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم، وحق على كل امرىء مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة»[٤] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ أى إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار.

قال الإمام أحمد[٥]: حدثنا يزيد، حدثنا همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة، عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال «إن رجلاً أذنب ذنبًا فقال: رب إنى أذنبت ذنبًا فاغفره لى، فقال الله عز وجل: عبدى عمل ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إنى عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدى، ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب إنى عملت ذنبًا فاغفره لى، فقال الله عز وجل: علم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبًا آخر فقال: رب، إنى عملت ذنبًا فاغفره، فقال عز وجل: عبدى علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى فليعمل ماشاء». أخرجه فى الصحيح[٦] من حديث إسحاق بن أبى طلحة بنحوه.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٧]: حدثنا أبو النضر وأبو عامر، قالا: حدثنا زهير، حدثنا سعد الطائى، حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين، سمع أبا هريرة، قلنا: يا رسول الله، إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد، فقال «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم فى بيوتكم. ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم».

قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٣٢٥)، أحمد (١٧٥٧٠)، من حديث أبي كبشة الأنماري، انظر صحيح جامع الترمذي.
(٢) **ضعيف**: الحاكم (٢/ ٣٢٣)، برقم (٣١٦١)، وانظر ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٦٤).
(٣) عزاه المصنف لابن مردويه، من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رضي الله عنهم.
(٤) عزاه المصنف لابن مردويه من طريق الضحاك به.
(٥) **صحيح**: المسند (٧٨٨٨)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣١٤٠).
(٦) البخاري برقم (٧٥٠٧)، ومسلم برقم (٢٧٥٨).
(٧) **صحيح**: المسند (٧٩٨٣)، انظر صحيح الجامع (٥٢٥٣).

يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين»، ورواه الترمذى وابن ماجه[١] من وجه آخر من حديث سعد به، ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد[٢] بن حنبل: حدثنا وكيع، حدثنا مسعر وسفيان الثورى عن عثمان بن المغيرة الثقفى، عن على بن ربيعة، عن أسماء بن الحكم الفزارى عن على رضى الله عنه، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا، نفعنى الله بما شاء منه. وإذا حدثنى عنه غيره استحلفته، فإذا حلف لى صدقته، وإن أبا بكر رضى الله عنه حدثنى - وصدق أبو بكر - أنه سمع رسول الله ﷺ، قال «ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ فيحسن الوضوء - قال مسعر - فيصلى - وقال سفيان - ثم يصلى ركعتين، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له» وهكذا رواه على بن المدينى والحميدى وأبو بكر بن أبى شيبة وأهل السنن وابن حبان فى صحيحه والبزار والدارقطنى[٣] من طرق عن عثمان بن المغيرة به.

وقال الترمذى: هو حديث حسن، وقد ذكرنا طرقه، والكلام عليه مستقصى فى مسند أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وبالجملة فهو حديث حسن، وهو من رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن خليفة النبى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما. ومما يشهد بصحة هذا الحديث ما رواه مسلم[٤] فى صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء» وفى الصحيحين[٥] عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه توضأ لهم وضوء النبى ﷺ، ثم قال: سمعت النبى ﷺ يقول «من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه» فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، عن سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، كما دل عليه الكتاب المبين، من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين.

وقد قال عبد الرزاق[٦]: أنبأنا جعفر بن سليمان عن ثابت، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، بكى.

وقال الحافظ أبو يعلى[٧]: حدثنا محرز بن عون، حدثنا عثمان بن مطر، حدثنا عبد الغفور عن

---

(١) ضعيف: الترمذي برقم (٣٥٩٨)، ابن ماجه برقم (١٧٥٢)، انظر ضعيف جامع الترمذي.

(٢) صحيح: المسند (٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢١).

(٣) صحيح: الحميدي (١/ ٤)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٩) برقم (٧٦٤٢)، وأبو داود برقم (١٥٢١)، والترمذي برقم (٣٠٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٠٩)، برقم (١٠٢٤٧)، وابن ماجه برقم (١٣٩٥)، وابن حبان (٢/ ٣٨٩) برقم (٦٢٣)، والبزار (١/ ١٨٨) برقم (٢١٠)، انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢١).

(٤) مسلم برقم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥) البخاري برقم (١٦٠)، ومسلم برقم (٢٢٦).

(٦) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٩٦)، ورجاله ثقات.

(٧) موضوع: أبو يعلى في مسنده (١/ ١٢٣)، برقم (١٣٦)، قال ابن كثير: عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان.

أبى نُصَيرة، عن أبى رجاء، عن أبى بكر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال «عليكم بلا إله إلا الله، والاستغفار، فأكثروا منهما، فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون» عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان. وروى الإمام أحمد [١] فى مسنده من طريق عمرو بن أبى عمرو وأبى الهيثم العتوارى عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال «قال إبليس: يا رب وعزتك لا أزال أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الله تعالى: وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى».

وقال الحافظ أبو بكر البزار [٢]: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمر بن أبى خليفة، سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت، عن أنس، قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله، أذنبت ذنبًا، فقال رسول الله ﷺ «إذا أذنبت فاستغفر ربك. قال: فإنى أستغفر ثم أعود فأذنب قال: فإذا أذنبت فعد فاستغفر ربك، فقالها فى الرابعة استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور» وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أى لا يغفرها أحد سواه، كما قال الإمام أحمد [٣]: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا سلام بن مسكين والمبارك عن الحسن عن الأسود بن سريع أن النبى ﷺ أُتى بأسير، فقال: اللَّهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبى ﷺ «عرف الحق لأهله» وقوله ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه، كما قال الحافظ أبو يعلى الموصلى [٤] فى مسنده: حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل وغيره، قالوا: حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحمانى عن عثمان بن واقد، عن أبى نُصَيرة، عن مولى لأبى بكر، عن أبى بكر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» ورواه أبو داود والترمذى والبزار [٥] فى مسنده من حديث عثمان بن واقد - وقد وثقه يحيى بن معين به - وشيخه أبو نُصَيرة الواسطى واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد وابن حبان، وقول على بن المدينى والترمذى: ليس إسناد هذا الحديث بذاك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبى بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعى كبير، ويكفيه نسبته إلى أبى بكر، فهو حديث حسن، والله أعلم.

وقوله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن من تاب تاب الله عليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وكقوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] ونظائر هذا كثيرة جدًا.

---

(١) صحيح: المسند (١١٣٢١)، انظر السلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٢) عزاه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٠١)، للبزار، وقال: وفيه بشار بن الحكم الضبي ضعفه غير واحد وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وبقية رجاله وُثق.

(٣) المسند (١٥١٦٠) وفيه محمد بن مصعب: ضعفه بعضهم، وقال آخرون: صدوق.

(٤) ضعيف: أبو يعلى في مسنده، (١/ ١٢٤)، برقم (١٢٤)، انظر المشكاة (٢٣٤٠).

(٥) ضعيف: أبو داود برقم (١٥١٤)، الترمذي برقم (٣٥٥٩)، والبزار (١/ ٢٠٥)، برقم (٢٩٣)، انظر ضعيف سنن أبي داود.

وقال الإمام أحمد[1]: حدثنا يزيد، أنبأنا حريز، حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعبي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون» تفرد به أحمد. ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي جزاؤهم على هذه الصفات ﴿مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من أنواع المشروبات ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ماكثين فيها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ يمدح تعالى الجنة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

يقول تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين الذين أصيبوا يوم أُحد وقتل منهم سبعون ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم، والدائرة على الكافرين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ يعني القرآن فيه خبر ما قبلكم. و ﴿وَهُدًى﴾ لقلوبكم، و ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي زاجر عن المحارم والمآثم. ثم قال تعالى مسليًا للمؤمنين ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي لا تضعفوا بسبب ما جرى ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي إن كنتم قد أصابتكم جراح وقتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قال ابن عباس: في مثل هذا لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ يعني يقتلون في سبيله ويبذلون مهجهم في مرضاته ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب. وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به. وقوله ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم، ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد، كما قال تعالى في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ

(١) صحيح: المسند (٦٥٠٥)، انظر السلسلة الصحيحة برقم (٤٨٢).

ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، ولهذا قال ههنا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أى لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين فى سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

وقوله ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ أى قد كنتم أيها المؤمنون قبل هذا اليوم، تتمنون لقاء العدو وتتحرّقون عليهم وتودون مناجزتهم ومصابرتهم، فها قد حصل لكم الذى تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا، وقد ثبت فى الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعنى الموت شاهدتموه وقت لمعان السيوف وحد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل. وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش، وعداوة الذئب.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلت محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه فى رأسه، فوقع ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، وجوّزوا عليه ذلك، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أى له أسوة بهم فى الرسالة وفى جواز القتل عليه، قال ابن أبى نجيح عن أبيه: أن رجلًا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قتل، فقال الأنصارى: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة. ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أى رجعتم القهقرى ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ

(١) البخاري برقم (٢٩٦٦)، مسلم برقم (١٧٤٢)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ أى الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيًا وميتًا. وكذلك ثبت فى الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع، وقد ذكرت ذلك فى مسندى الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن الصديق رضى الله عنه، تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ.

وقال البخارى (١): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرنى أبو سلمة أن عائشة رضى الله عنها، أخبرته أن أبا بكر رضى الله عنه، أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغطى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتبت عليك فقد مِتّها، وقال الزهرى: حدثنى أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يحدّث الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ - إلى قوله - ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ قال: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما سمعها بشر من الناس إلا تلاها، وأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعَقِرتُ حتى ما تقلنى رجلاى، وحتى هويت إلى الأرض.

وقال أبو القاسم الطبرانى: حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عليًا كان يقول فى حياة رسول الله ﷺ ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إنى لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به منى؟ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾ أى لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفى المدة التى ضربها الله له، ولهذا قال ﴿كتابًا مؤجلاً﴾ كقوله ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍۚ﴾[فاطر: ١١] وكقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾[الأنعام: ٢] وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم فى القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، كما قال ابن أبى حاتم: حدثنا العباس بن يزيد العبدى قال: سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن صُهبان، قال: قال رجل من المسلمين وهو حُجر بن عدى: ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة - يعنى دجلة - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾ ثم أقحم فرسه دجلة، فلما أقحم، أقحم الناس، فلما رآهم العدو قالوا: ديوان فهربوا. وقوله ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ﴾ أى من كان عمله للدنيا فقط نال منها ما قدره الله له، ولم يكن له فى الآخرة نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها

---

(١) البخاري برقم (٤٤٥٤).

مع ما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩] ولهذا قال ههنا ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ أي سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم، ثم قال تعالى مسليًا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قيل: معناه كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير.

وهذا القول هو اختيار ابن جرير فإنه قال: وأما الذين قرءوا ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل، قال: ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك، لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقول الله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ وجه معروف لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا، ثم اختار قراءة من قرأ ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدًا قد قتل، فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال، فقال لهم ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم و﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ وقيل: وكم من نبي قتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير، وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضي قولاً آخر، فإنه قال: وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون أي جماعات فما وهنوا بعد نبيهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم، وذلك الصبر ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فجعل قوله ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ حالاً، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه، وله اتجاه لقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ الآية، وكذا حكاه الأموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم ولم يحك غيره، وقرأ بعضهم ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زرّ عن ابن مسعود ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي ألوف، وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والسدي والربيع وعطاء الخراساني: الربيون الجموع الكثيرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي علماء كثير، وعنه أيضًا: علماء صبر أبرار وأتقياء.

وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الربيين هم الذين يعبدون الرب عز وجل، قال: ورد بعضهم عليه فقال: لو كان كذلك لقيل: الربيون بفتح الراء، وقال ابن زيد: الربيون الأتباع والرعية، والربانيون الولاة. ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ قال قتادة والربيع بن أنس ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ بقتل نبيهم ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ يقول: فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم أن قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله، وقال ابن عباس ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ تخشعوا، وقال السدي وابن زيد: وما ذلوا لعدوهم، وقال محمد بن إسحاق والسدي وقتادة: أي ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي لم يكن لهم هجير إلا ذلك ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي النصر والظفر والعاقبة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي جمع لهم ذلك مع هذا ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى فى الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ ثم أمرهم بطاعته وموالاته والإستعانة به والتوكل عليه، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ ثم بشرهم بأنه سيلقى فى قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادخره لهم فى الدار الآخرة من العذاب والنكال، فقال ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ وقد ثبت فى الصحيحين [(١)] عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لى الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» وقال الإمام أحمد [(٢)]: حدثنا محمد بن أبى عدى عن سليمان التيمى عن سيار عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال «فضلنى ربى على الأنبياء - أو قال على الأمم - بأربع: قال: أرسلت إلى الناس كافة، وجعلت لى الأرض كلها ولأمتى مسجدًا وطهورًا فأينما أدركت رجلاً من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه فى قلوب أعدائى، وأحلت لى الغنائم». ورواه الترمذى [(٣)] من حديث سليمان التيمى عن سيار القرشى الأموى مولاهم الدمشقى سكن البصرة، عن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه به، وقال: حسن صحيح.

وقال سعيد بن منصور: أنبأنا ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «نصرت بالرعب على العدو»، ورواه مسلم [(٤)] من حديث ابن وهب.

---

(١) البخاري برقم (٣٣٥)، مسلم برقم (٥٢١).
(٢) صحيح: المسند (٢١٦٣٢)، انظر صحيح الجامع (١٧٨٠).
(٣) صحيح: الترمذي برقم (١٥٥٣)، وانظر صحيح جامع الترمذي.
(٤) مسلم برقم (٥٢٣).

وقال الإمام أحمد [١]: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق، عن أبى بردة، عن أبيه أبى موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض طهورًا ومسجدًا، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلى، ونصرت بالرعب شهرًا، وأعطيت الشفاعة، وليس من نبى إلا وقد سأل شفاعته وإنى اختبأت شفاعتى ثم جعلتها لمن مات لا يشرك بالله شيئًا» تفرد به أحمد. وروى العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ قال: قذف الله فى قلب أبى سفيان الرعب فرجع إلى مكة، فقال النبى ﷺ: «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب» رواه ابن أبى حاتم [٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾.

قال ابن عباس: وعدهم الله النصر، وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين فى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥] أن ذلك كان يوم أحد، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة، تأخر الوعد الذى كان مشروطًا بالثبات والطاعة، ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أى أول النهار ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أى تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أى بتسليطه إياكم عليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ وقال ابن جريج: قال ابن عباس: الفشل الجبن ﴿وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ كما وقع للرماة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر منهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا فى المغنم حين رأوا الهزيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أى غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك، والله أعلم، لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم، قال ابن جريج: قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ قال: لم يستأصلكم، وكذا قال محمد بن إسحاق: رواهما ابن جرير ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال الإمام أحمد [٣]: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، عن عُبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر النبى ﷺ فى موطن كما نصره يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول فى يوم أحد ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ يقول ابن عباس والحسن: القتل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ الآية، وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع ثم قال: «احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا» فلما غنم النبى ﷺ، وأباحوا عسكر

---

(١) المسند (٥٩٢٣٦) ورجاله ثقات.

(٢) عزاه المصنف لابن أبي حاتم، وفيه عطية العوفي، قال الرازي: ضعيف يكتب حديثه، وقال أحمد: ضعيف الحديث.

(٣) المسند (٢٦٠٤)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط.

المشركين، أكب الرماة جميعًا دخلوا فى العسكر ينهبون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا - وشبك بين يديه - وانتشبوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ، فضرب بعضهم بعضًا، والتبسوا وقتل من المسلمين، ناس كثير، وقد كان النصر لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمد، فلم يشكوا به أنه حق، فلا زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتلفته إذا مشى، قال: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا، قال: فرقى نحونا وهو يقول: «اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله» ويقول مرة أخرى: «اللَّهم إنه ليس لهم أن يعلونا» حتى انتهى إلينا فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل اعلُ هبل - مرتين يعنى إلهه - أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال «بلى» . فلما قال: اعل هبل.

قال عمر: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: قد أنعمت عينها فعاد. عنها أو فَعَالَ. فقال أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر، هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. قال: فقال أبو سفيان، يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال، قال: فقال: عمر لا سواء قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار. قال: إنكم تزعمون ذلك، فقد خبنا وخسرنا إذن، فقال أبو سفيان: إنكم ستجدون فى قتلاكم مثلة ولم يكن ذلك عن رأى سراتنا. قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه، هذا حديث غريب وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه، وقد أخرجه الحاكم[1] فى مستدركه عن أبى النضر الفقيه، عن عثمان بن سعيد، عن سلمان بن داود بن على بن عبد الله بن عباس به، وهكذا رواه ابن أبى حاتم والبيهقى[2] فى دلائل النبوة من حديث سليمان بن داود الهاشمى به. ولبعضه شواهد فى الصحاح وغيرها فقال الإمام أحمد[3]: حدثنا عفان، حدثنا حماد عن عطاء بن السائب، عن الشعبى، عن ابن مسعود، قال: إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر أنه ليس منا أحد يريد الدنيا، حتى أنزل الله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ، وعصوا ما أمروا به، أفرد النبى ﷺ فى تسعة: سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، وهو عاشرهم ﷺ، فلما رهقوه قال: «رحم الله رجلاً ردهم عنا» قال: فقام رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهقوه أيضًا قال: «رحم الله رجلاً ردهم عنا» فلم يزل يقول ذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه:

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٦/ ١١١)، برقم (٢/ ٣٢٤) برقم (٣١٦٣)، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد: ضعفه بعضهم، وقيل: لا يحتج بحديثه.

(٢) رواه بهذا الإسناد الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٠١) برقم (١٠٧٣١)، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، انظر التعليق السابق.

(٣) المسند (٤٤٠٠)، وفيه عطاء بن السائب: اختلط.

«ما أنصفنا أصحابنا» فجاء أبو سفيان فقال: اعل هبل: فقال رسول الله ﷺ : «قولوا: الله أعلى وأجل»، فقالوا: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان، لنا العزى ولا عزى لكم. فقال رسول الله ﷺ : «قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم» فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر.

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

حنظلة بحنظلة وفلان بفلان وفلان بفلان.

فقال رسول الله ﷺ : «لا سواء: أما قتلانا فأحياء يرزقون، وأما قتلاكم ففى النار يعذبون» فقال أبو سفيان، لقد كان فى القوم مثلة، وإن كان لعن غير ملأ منا، ما أمرت ولا نهيت، ولا أحببت ولا كرهت، ولا ساءنى ولا سرنى، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها. فقال رسول الله ﷺ : «أكلت شيئًا» ؟ قالوا: لا. قال: «ما كان الله ليدخل شيئًا من حمزة فى النار» قال: فوضع رسول الله ﷺ : حمزة فصلى عليه، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه، فرفع الأنصارى وترك حمزة حتى جيء بآخر فوضع إلى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وترك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة، تفرد به أحمد أيضًا. وقال البخارى[(١)] : حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن البراء، قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبى ﷺ جيشًا من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير، وقال «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة.

فقال عبد الله بن جبير: عهد إلى النبى ﷺ أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً، فأشرف أبو سفيان فقال: أفى القوم محمد؟ فقال «لا تجيبوه» . فقال: أفى القوم ابن أبى قحافة؟ قال «لا تجيبوه» . فقال: أفى القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال له: كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يحزنك، قال أبو سفيان: اعل هبل. فقال النبى ﷺ : «أجيبوه» قالوا: ما نقول قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» . قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبى ﷺ «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» .

قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى، تفرد به البخارى من هذا الوجه، ثم رواه[(٢)] عن عمرو بن خالد عن زهير بن معاوية، عن أبى إسحاق، عن البراء بنحوه، وسيأتى بأبسط من هذا وقال البخارى[(٣)] أيضًا: حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس: أى عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم، فبصر حذيفة، فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أى عباد الله أبى أبى. قال: قالت: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

(١) البخاري برقم (٤٠٤٣).
(٢) البخاري برقم (٣٠٣٩).
(٣) البخاري برقم (٤٠٦٥).

قال عروة: فو الله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله عز وجل . وقال محمد بن إسحاق [(١)]: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده أن الزبير بن العوام قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحباتها مشمرات هوارب ما دون أخذهن كثير ولا قليل، ومالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتتنا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم. قال محمد بن إسحاق: فلم يزل لواء المشركين صريعًا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش فلاثوا به. وقال السدي، عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود: ما كنت أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وقد روى من غير وجه عن ابن مسعود، وكذا روى عن عبد الرحمن بن عوف وأبي طلحة، رواهن ابن مردويه في تفسيره، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ قال ابن إسحاق [(٢)]: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أحد بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يخليكم؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، وقال البخاري [(٣)]: حدثنا حسان بن حسان، حدثنا محمد بن طلحة، حدثنا حميد عن أنس بن مالك أن عمه يعني أنس بن النضر، غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي ﷺ لئن أشهدني الله مع رسول الله ليرين الله ما أجد، فلقي يوم أحد فهزم الناس، فقال: اللّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه بشامة، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم، هذا لفظ البخاري، وأخرجه مسلم [(٤)] من حديث ثابت عن أنس بنحوه وقال البخاري [(٥)] أيضًا: حدثنا عبدان، حدثنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل حج البيت فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء فحدثني، قال: سل، قال: أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. فكبر، فقال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه» وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان، فكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ

(١) ابن جرير برقم (٤/١٢٦).
(٢) ابن جرير برقم (٤/١١٣).
(٣) البخاري برقم (٤٠٤٨).
(٤) مسلم برقم (١٩٠٣).
(٥) البخاري برقم (٤٠٦٦).

بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه يد عثمان اذهب بها الآن معك» ثم رواه البخاري[١] من وجه آخر عن أبي عوانة، عن عثمان بن عبد الله بن موهب.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي صرفكم عنهم إذ تصعدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم. وقرأ الحسن وقتادة «إذ تَصْعَدُون» أي في الجبل ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكرة. قال السدي: لما شدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها. فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس «إلى عباد الله، إلى عباد الله» فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم، فقال ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ وكذا قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد. وقال عبد الله بن الزبعرى: يذكر هزيمة المسلمين يوم أحد في قصيدته وهو مشرك بعد لم يسلم التي يقول في أولها:

يا غراب البين أسمعت فقل ... إنما تنطق شيئًا قد فعل
إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

إلى أن قال:

ليت أشياخي ببدر يشهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حلت بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل
ثم خفوا عند ذاكم رُقَّصًا ... رقص الحفّان يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

الحفان: صغار النعم. وقد كان النبي ﷺ قد أفرد في اثني عشر رجلًا من أصحابه كما قال الإمام أحمد[٢]: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلًا - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعًا، وقال «إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال فهزموهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال: أصحاب عبد الله الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟.

قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قاله لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: إنا والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة. فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله إلا اثنا عشر رجلًا، فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين، سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا. قال أبو سفيان: أفي القوم محمد، أفي القوم محمد؟ - ثلاثًا - قال. فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟

---

(١) البخاري (٣٦٩٨).

(٢) صحيح: أحمد (١٨١٢٠)، انظر صحيح سنن أبي داود.

أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. وإنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها، ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز يقول: اعل هبل اعل هبل، فقال رسول الله ﷺ «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال «قولوا الله أعلى وأجل» قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال رسول الله ﷺ «ألا تجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» وقد رواه البخاري [١] من حديث زهير بن معاوية مختصرًا، ورواه [٢] من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق بأبسط من هذا كما تقدم، والله أعلم - وروى البيهقي [٣] في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غزية، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد الجبل، فلقيهم المشركون، فقال «ألا أحد لهؤلاء» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال «كما أنت يا طلحة».

فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قتل الأنصاري فلحقوه، فقال «ألا رجل لهؤلاء» فقال طلحة، مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وأصحابه يصعدون، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، فيقول طلحة: فأنا يا رسول الله، فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فيقاتل مثل من كان قبله، حتى لم يبق معه إلا طلحة فغشوهما، فقال: رسول الله ﷺ «من لهؤلاء» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله، فقال حَس، فقال رسول الله «لو قلت باسم الله وذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء» ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. وقد روى البخاري [٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ، يعني يوم أحد - وفي الصحيحين [٥] من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ، في بعض الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ، إلا طلحة بن عبيد الله وسعد عن حديثهما.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن هاشم بن هاشم الزهري، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نَثَل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال «ارم فداك أبي وأمي».

وأخرجه البخاري [٦] عن عبد الله بن محمد، عن مروان بن معاوية، وقال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبي وقاص، أنه رمى يوم أحد دون

(١) البخاري برقم (٣٠٣٩). (٢) سبق تخريجه.
(٣) من هذا الطريق أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٠٤) برقم (٨٧٠٤).
(٤) البخاري برقم (٤٠٦٣). (٥) البخاري برقم (٣٧٢٣)، ومسلم برقم (١٤١٤).
(٦) البخاري برقم (٤٠٥٥).

رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولنى النبل ويقول «ارم فداك أبى وأمى» حتى إنه ليناولنى السهم ليس له نصل فأرمى به - وثبت فى الصحيحين [(١)] من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبى وقاص قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبى ﷺ، وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده، يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام - وقال حماد بن سلمة [(٢)] عن على بن زيد وثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار، واثنين من قريش، فلما أرهقوه قال «من يردهم عنا وله الجنة - أو وهو رفيقى فى الجنة» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم أرهقوه أيضًا، فقال «من يردهم عنا وله الجنة» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه «ما أنصفنا أصحابنا» رواه مسلم عن هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة به نحو، وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير، قال: كان أبى بن خلف أخو بنى جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله حلفته، قال «بل أنا أقتله إن شاء الله» فلما كان يوم أحد، أقبل أبى فى الحديد مقنعًا وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير، أخو بنى عبد الدار، يقى رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبى بن خلف، من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة وطعنه فيها بحربته، فوقع إلى الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ «بل أنا أقتل أبيًا» ثم قال: والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى، بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعين، فمات إلى النار ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [(٣)] [الملك: ١١] وقد رواه موسى بن عقبة فى مغازيه، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب بنحوه - وذكر محمد بن إسحاق [(٤)]، قال: لما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب، أدركه أبى بن خلف وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا، فقال رسول الله ﷺ «دعوه» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فقال بعض القوم - كما ذكر لى - فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا - وذكر الواقدى [(٥)] عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، نحو ذلك.

قال الواقدى: وكان ابن عمر يقول مات أبى بن خلف ببطن رابغ، فإنى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل، إذا أنا بنار تأجج فهبتها، فإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يهيج به العطش، وإذا

---

(١) البخاري برقم (٤٠٥٤)، ومسلم برقم (٢٣٠٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٩).
(٣) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٧)، برقم (٣٢٦٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٦٠٢) برقم (٢٥٣)، وقال: إسناد المصنف ضعيف.
(٥) انظر تخريج الحديث السابق.

رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ . هذا أبى بن خلف - وثبت فى الصحيحين[(١)] من رواية عبد الرزاق عن معمر، عن همام بن منبه عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله ﷺ - وهو حينئذ يشير إلى رباعيته - واشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ فى سبيل الله» وأخرجه البخارى[(٢)] أيضًا من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ بيده فى سبيل الله، واشتد غضب الله على قوم دَمّوا وجه رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[(٣)]: أصيبت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج فى وجنته، وكلمت شفته، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص، فحدثنى صالح بن كيسان، عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبى وقاص إن كان ما علمته لسيئ الخلق مبغضًا فى قومه، ولقد كفانى فيه قول رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من دَمّى وجه رسول الله ﷺ » - وقال عبد الرزاق[(٤)]: أنبأنا معمر عن الزهرى، عن عثمان الجزرى، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبى وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودَمّى وجهه، فقال «اللَّهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرًا» فما حال عليه الحول حتى مات كافرًا إلى النار - وذكر الواقدى[(٥)] عن ابن أبى سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة، عن أبى الحويرث، عن نافع بن جبير، قال: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أحدًا فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها، كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يقول يومئذ، دلونى على محمد لا نجوت إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد، ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان، فقال والله ما رأيته أحلف بالله إنه منا ممنوع! خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك، قال الواقدى: والذى ثبت عندنا، أن الذى دمى فى وجنتى رسول الله ﷺ ابن قميئة، والذى دَمّى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبى وقاص.

وقال أبو داود الطيالسى[(٦)]: حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرنى عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد، قال: ذاك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال حمية، فقال: فقلت: كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى، فقلت: يكون رجلاً من قومى أحب إلى وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو

---

(١) البخاري برقم (٤٠٧٣)، ومسلم برقم (١٧٩٣).
(٢) البخاري برقم (٤٠٧٤).
(٣) أخرجه الدورقي في «مسند سعد» (١/ ١٥٢) برقم (٩٠)، وللحديث شاهد في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٢٩٠) برقم (٩٦٤٩) وإسناده مرسل.
(٥) عزاه القرطبي في تفسيره (٤/ ١٨٧) للواقدي.
(٦) ضعيف: الطيالسي في «مسنده» (١/ ٣) برقم (٦)، وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة: متروك.

يخطف المشى خطفًا لا أعرفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ ، وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه، وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ «عليكما صاحبكما يريد طلحة» وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأن أنزع ذلك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى فتركته، فكره أن يتناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ ، فأزّم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيّته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى، قال ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة أحسن الناس هتمًا، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه، فأصلحنا من شأنه، ورواه الهيثم بن كليب والطبرانى [(١)] من حديث إسحاق بن يحيى به. وعند الهيثم فقال أبو عبيدة: أنشدك الله يا أبا بكر إلا تركتنى؟ فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه، فجعل ينضنضه كراهية أن يؤذى رسول الله ﷺ ثم استل السهم بفيه فبدرت ثنية أبو عبيدة، وذكر تمامه، واختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه، وقد ضعّف على بن المدينى هذا الحديث من جهة إسحاق بن يحيى هذا فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وأحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو زرعة وأبو حاتم ومحمد بن سعد والنسائى وغيرهم.

وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن مالكًا أبا أبى سعيد الخدرى لما جرح النبى ﷺ يوم أحد مص الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل له: مجه، فقال: لا والله لا أمجه أبدًا، ثم أدبر يقاتل، فقال النبى ﷺ «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» [(٢)] فاستشهد. وقد ثبت فى الصحيحين [(٣)] من طريق عبد العزيز بن أبى حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ﷺ ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان على يسكب عليه الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم، وقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ أى فجزاكم غمًا على غم، كما تقول العرب: نزلت ببنى فلان، ونزلت على بنى فلان.

وقال ابن جرير [(٤)]: وكذا قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[طه: ٧١] أى على جذوع النخل، قال ابن عباس: الغم الأول بسبب الهزيمة، وحين قيل قتل محمد ﷺ ، والثانى حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبى ﷺ : «اللَّهم ليس لهم أن يعلونا» وعن عبد الرحمن بن عوف: الغم الأول بسبب الهزيمة، والثانى حين قيل قتل محمد ﷺ كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة، رواهما ابن مردويه، وروى عن عمر بن الخطاب نحو ذلك، وذكر ابن أبى حاتم، عن قتادة نحو ذلك أيضًا وقال

---

(١) ضعيف: كسابقه.

(٢) مرسل: أورده ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٣١).

(٣) البخاري برقم (٢٩١١)، ومسلم برقم (١٧٩٠).

(٤) ابن جرير (٤/ ١٣٧).

السدى: الغم الأول بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح، والثانى بإشراف العدو عليهم.

وقال محمد بن إسحاق ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ أى كربًا بعد كرب قتل مَنْ قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وما وقع فى أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك متتابعًا عليكم غمًا بغم، وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول سماعهم قتل محمد، والثانى ما أصابهم من القتل والجراح، وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه.

وعن السدى: الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثانى إشراف العدو عليهم، وقد تقدم هذا القول عن السدى. قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح، يومئذ بعد الذى كان قد أراكم فى كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم أمر ربكم، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ غم ظنكم أن نبيكم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم.

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ أى على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من الجراح والقتل، قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف والحسن وقتادة والسدى، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ سبحانه وبحمده لا إله إلا هو جل وعلا.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾

يقول تعالى ممتنًا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذى غشيهم وهم مُسْتَلئمو السلاح فى حال همهم وغمهم، والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان، كما قال تعالى فى سورة الأنفال فى قصة بدر ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، وقال ابن أبى حاتم (١): حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم ووكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن أبى رزين، عن عبد الله بن مسعود، قال: النعاس فى القتال من الله وفى الصلاة من الشيطان، وقال البخارى (٢) وقال لى خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفى من يدى مرارًا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، وهكذا رواه فى المغازى معلقًا، ورواه فى كتاب التفسير مسندًا عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، عن أبى طلحة، قال: غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه

(١) عزاه المصنف لابن أبي حاتم عن أبي رزين عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البخاري برقم (١٣٣٨).

Osoul-kaheel.com

ويسقط وآخذه. وقد رواه الترمذى والنسائى والحاكم[١] من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبى طلحة، قال، رفعت رأسى يوم أحد وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت جحفته من النعاس، لفظ الترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه النسائى[٢] أيضًا، عن محمد بن المثنى، عن خالد بن الحارث، عن أبى قتيبة، عن ابن أبى عدى، كلاهما عن حميد، عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت فيمن ألقى عليه النعاس، الحديث، وهكذا رُوِى عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف.

وقال البيهقى: حدثنا أبوعبد الله الحافظ، أخبرنى أبو الحسين محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفى، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومى، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه. قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ أى إنما هم كَذَبة أهل شك وريب فى الله عز وجل هكذا رواه بهذه الزيادة وكأنها من كلام قتادة رحمه الله وهو كما قال، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ يعنى أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ يعنى لايغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ كما قال فى الآية الأخرى ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا﴾[الفتح: ١٢] إلى آخر الآية، وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ فى تلك الحال ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ﴾ ثم فسر ما أخفوه فى أنفسهم بقوله ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ أى يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ.

قال محمد بن يسار بن إسحاق[٣]: فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال الزبير: لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه فى صدره، قال: فو الله إنى لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم يقول: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ فحفظتها منه وفى ذلك أنزل الله ﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ لقول معتب، رواه ابن أبى حاتم[٤]. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ أى هذا قدر قدره الله عز وجل وحكم حتم لا

---

(١) **صحيح**: الترمذي برقم (٣٠٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٤٩) برقم (١١١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٥) برقم (٣١٦٤)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٢) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٦) برقم (١١٠٨٠).

(٣) ابن جرير (٤/ ١٤٣).

(٤) عزاه المصنف لابن أبي حاتم.

محيد عنه ولا مناص منه، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق للناس في الأقوال والأفعال ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ أي ببعض ذنوبهم السابقة كما قال بعض السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها، ثم قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي عما كان منهم من الفرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ويتجاوز عنهم، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان وتوليه يوم أحد وأن الله قد عفا عنه مع من عفا عنهم عند قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ومناسب ذكره ههنا.

قال الإمام أحمد[(١)]: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم حنين.

قال عاصم: يقول يوم أحد: ولم أتخلف عن بدر ولم أترك سنة عمر، قال: فانطلق فأخبر بذلك عثمان، قال: فقال عثمان: أما قوله إني لم أفر يوم حنين، فكيف يعيرني بذنب قد عفا الله عنه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وأما قوله إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد، وأما قوله إني تركت سنة عمر فإني لا أطيقها ولا هو، فأته فحدثه بذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد، الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب، لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي عن إخوانهم ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي سافروا للتجارة ونحوها ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ أي كانوا في الغزو ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾ أي في البلد ﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ أي ما ماتوا في السفر، وما قتلوا في الغزو وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم، ثم قال تعالى ردًا عليهم ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي علمه وبصره نافذ في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ

(١) المسند (٤٩٢)، ورجاله ثقات.

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)﴾ تضمن هذا أن القتل فى سبيل الله والموت أيضًا، وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء فى الدنيا وجَمْع حطامها الفانى، ثم أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله عز وجل، فيجزيه بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ
وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِن
يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾

يقول تعالى مخاطبًا رسوله، ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أى: أى شىء جعلك لهم لينًا، لولا رحمة الله بك وبهم، وقال قتادة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ يقول فبرحمة من الله لنت لهم، وما صلة، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠] وهكذا ههنا قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أى برحمة من الله، وقال الحسن البصرى هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال الإمام أحمد (١): حدثنا حيوة، حدثنا بقية، حدثنا محمد بن زياد، حدثنى أبو راشد الحُبْرانى قال: أخذ بيدى أبو أمامة الباهلى وقال: أخذ بيدى رسول الله ﷺ فقال «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين لى قلبه» تفرد به أحمد، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أى لو كنت سيء الكلام، قاسى القلب عليهم لا نفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: «إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة إنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح» (٢)، وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى (٣): أنبأنا بشر بن عبيد الدارى، حدثنا عمار بن عبد الرحمن عن المسعودى عن ابن أبى مليكة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله أمرنى

---

(١) صحيح: المسند (٢١٧٩٦)، انظر السلسلة الصحيحة (١٠٩٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٨).

(٣) ضعيف جدًا: عزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٥٨) للديلمي، انظر ضعيف الجامع (١٥٦٧).

بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض» حديث غريب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييبًا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله، لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون: ولكن نقول اذهب، فنحن معك، وبين يديك، وعن يمينك، وعن شمالك مقاتلون، وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل، حتى أشار المنذر بن عمرو المُعْنق ليموت، بالتقدم أمام القوم. وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين.

فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال، وقال ﷺ في قصة الإفك «أشيروا علي معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي ورموهم، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ما علمت عليه إلا خيرًا» واستشار عليًا وأسامة في فراق عائشة رضي الله عنها. فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبًا عليه أو من باب الندب تطييبًا لقلوبهم؟ على قولين.

وقد قال الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر وعمر، وكانا حواريّي رسول الله ﷺ ووزيريه، وأبوي المسلمين، وقد روى الإمام أحمد[(١)]: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ، قال لأبي بكر وعمر «لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتكما» وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم؟ فقال «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم» وقد قال ابن ماجه[(٢)]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن بكير عن شيبان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «المستشار مؤتمن» ورواه أبو داود والترمذي[(٣)]، وحسنه النسائي من حديث عبد الملك بن عمير بأبسط من هذا.

ثم قال ابن ماجه[(٤)]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود بن عامر عن شريك، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن» تفرد به.

---

(١) ضعيف: المسند (١٧٥٣٣)، انظر السلسلة الضعيفة (١٠٠٨).
(٢) صحيح: ابن ماجه برقم (٣٧٤٥)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.
(٣) صحيح: أبو داود (٥١٢٨)، الترمذي برقم (٢٨٢٢)، انظر صحيح سنن أبي داود.
(٤) صحيح: ابن ماجه برقم (٣٧٤٦)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

وقال أيضًا [(١)]: حدثنا أبو بكر، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة وعلى بن هاشم عن ابن أبى ليلى، عن أبى الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» تفرد به أيضًا. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أى إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ وهذه الآية كما تقدم من قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ثم أمرهم بالتوكل عليه، فقال ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ما ينبغى لنبى أن يخون. وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا المسيب بن واضح، حدثنا أبو إسحاق الفزارى عن سفيان بن خصيف عن عكرمة، عن ابن عباس قال: فقدوا قطيفة يوم بدر فقالوا: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أى يخون. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا خصيف، حدثنا مقسم، حدثنى ابن عباس أن هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها، فأكثروا فى ذلك، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وكذا رواه أبو داود والترمذى [(٢)] جميعًا عن قتيبة، عن عبد الواحد بن زياد به. وقال الترمذى: حسن غريب، ورواه بعضهم، عن خصيف، عن مقسم يعنى مرسلاً، وروى ابن مردويه [(٣)] من طريق أبى عمرو بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: اتهم المنافقون رسول الله ﷺ بشىء فقد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ وروى من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم، وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة فى أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك. وقال العوفى عن ابن عباس ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أى بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضًا. وكذا قال الضحاك. وقال محمد بن إسحاق ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغه أمته.

وقرأ الحسن البصرى وطاوس ومجاهد والضحاك «وَمَا كَانَ لِنَبِي أَن يُغَلَّ» بضم الياء أى يخان وقال قتادة والربيع بن أنس: نزلت هذه الآية يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه. رواه ابن جرير عنهما، ثم حكى عن بعضهم أنه فسر هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقد وردت السنة بالنهى عن ذلك أيضًا فى أحاديث متعددة، قال الإمام أحمد [(٤)]: حدثنا عبد الملك، حدثنا زهير يعنى ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عطاء بن يسار، عن أبى مالك الأشجعى، عن النبى ﷺ قال «أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض، تجدون الرجلين جارين فى الأرض - أو فى

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٧٤٧)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) صحيح: أبو داود برقم (٣٩٧١)، والترمذي برقم (٣٠٠٩)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٣) عزاه المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٨/ ٢٨٦) لابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) ضعيف: المسند (١٦٨٠٤)، انظر ضعيف الجامع (٩٥٨).

الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا، فإذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة» .

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[١] : حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد، عن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت المستورد بن شداد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادمًا، أو ليست له دابة فليتخذ دابة، ومن أصاب شيئًا سوى ذلك فهو غال» هكذا رواه الإمام أحمد. وقد رواه أبو داود[٢] بسند آخر وسياق آخر، فقال: حدثنا موسى بن مروان الرقي، حدثنا المعافى، حدثنا الأوزاعي عن الحارث بن يزيد، عن جبير بن نفير، عن المستورد بن شداد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا» قال: قال أبو بكر: أخبرت أن النبي ﷺ ، قال «من اتخذ غير ذلك فهو غال - أو سارق» . قال شيخنا الحافظ المزي رحمه الله: رواه جعفر بن محمد الفريابي عن موسى بن مروان: فقال: عن عبد الرحمن بن جبير بدل جبير بن نفير، وهو أشبه بالصواب.

(حديث آخر) - قال ابن جرير[٣] : حدثنا أبو كريب، حدثنا حفص بن بشر، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «لأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، فينادي: يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملاً له رغاء، فيقول: يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسًا له حمحمة ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغتك. ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قَشعًا من أدم ينادي: يا محمد يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك» لم يروه أحد من أهل الكتب الستة.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول: حدثنا أبو حميد الساعدي: قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي. فقام رسول الله ﷺ على المنبر فقال «ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي: أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي أحد منكم منها بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه: ثم قال «اللّهم هل بلغت» ثلاثًا. وزاد هشام بن عروة فقال أبو حميد: بصرته بعيني وسمعته بأذني واسألوا زيد بن ثابت، أخرجاه[٥] من حديث سفيان بن

---

(١) صحيح: المسند (١٧٥٥٤)، انظر صحيح الجامع (٦٤٨٦).
(٢) صحيح: أبو داود برقم (٢٩٤٥)، انظر صحيح سنن أبي داود.
(٣) صحيح: ابن جرير (٤/ ١٥٩)، انظر السلسلة الصحيحة (٢٨٦٥).
(٤) صحيح: المسند (٢٣٠٨٧)، انظر صحيح الجامع (١٣٥٧).
(٥) البخاري برقم (٩٢٥)، ومسلم برقم (١٨٣٢).

عيينة، وعند البخارى: واسألوا زيد بن ثابت، ومن غير وجه عن الزهرى، ومن طريق عن هشام بن عروة، كلاهما عن عروة، به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد [(١)]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبى حميد أن رسول الله ﷺ قال «هدايا العمال غلول» وهذا الحديث من أفراد أحمد، وهو ضعيف الإسناد، وكأنه مختصر من الذى قبله، والله أعلم.

(حديث آخر) - قال أبو عيسى الترمذى [(٢)] فى كتاب الأحكام: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة عن داود بن يزيد الأودى، عن المغيرة بن شبل، عن قيس بن أبى حازم، عن معاذ بن جبل، قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرت أرسل فى أثرى فرددت، فقال «أتدرى لم بعثت إليك؟ لا تصيبن شيئًا بغير إذنى فإنه غلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لهذا دعوتك فامض لعملك» هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى الباب عن عدى بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبى حميد وابن عمر.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد [(٣)]: حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا أبو حيان يحيى بن سعيد التيمى، عن أبى زرعة بن عمر بن جرير، عن أبى هريرة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجى يوم القيامة على رقبته رقاع تخنق فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك» أخرجاه [(٤)] من حديث أبى حيان به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد [(٥)]: حدثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبى خالد، حدثنى قيس عن عدى بن عميرة الكندى قال: قال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس من عمل لنا منكم عملاً فكتمنا منه مخيطًا فما فوقه، فهو غل يأتى به يوم القيامة» قال: فقام رجل من الأنصار أسود - قال مجاهد: هو سعيد بن عبادة كأنى أنظر إليه - فقال: يا رسول الله، اقبل عنى عملك. قال «وما ذاك؟» قال: سمعتك تقول: كذا وكذا، قال «وأنا أقول ذاك الآن، من استعملناه على عمل فليجىء بقليله وكثيره، فما أوتى منه أخذه، وما نهى عنه انتهى» وكذا رواه مسلم وأبو داود [(٦)] من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد [(٧)]: حدثنا أبو معاوية عن أبى إسحاق الفزارى، عن ابن جريج،

(١) صحيح: المسند (٢٣٠٩٠)، انظر الإرواء (٢٦٢٢).
(٢) ضعيف: الترمذي برقم (١٣٣٥)، انظر ضعيف جامع الترمذي.
(٣) صحيح: المسند (٩٢١٩)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤٧).
(٤) البخاري برقم (٣٠٧٣)، ومسلم برقم (١٨٣١).
(٥) صحيح: المسند (١٧٢٦٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤٧).
(٦) مسلم برقم (١٨٣٣)، وأبو داود برقم (٢٥٨١).
(٧) حسن: المسند (٢٦٦٥١)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٥٠).

حدثنى منبوذ رجل من آل أبى رافع عن الفضل بن عُبيد الله بن أبى رافع، عن أبى رافع، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ربما ذهب إلى بنى عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر المغرب، قال أبو رافع: فبينما رسول الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب، إذ مر بالبقيع، فقال «أف لك، أف لك» مرتين، فكبر فى ذرعى وتأخرت وظننت أنه يريدنى، فقال «مالك؟» امش قال: قلت: أحدثت حدثًا يارسول الله، قال «وما ذاك»؟ قلت: أفّفت بى، قال «لا، ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيًا على آل فلان فغل نمرة فدرع الآن مثلها من نار».

(حديث آخر) - قال عبد الله بن الإمام أحمد[1]: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفى المفلوج - وكان بمكة - حدثنا عبيدة بن الأسود عن القاسم بن الوليد، عن أبى صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم ثم يقول «مالى فيه إلا مثل ما لأحدكم، إياكم والغلول فإن الغلول خزى على صاحبه يوم القيامة، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك، وجاهدوا فى سبيل الله القريب والبعيد، فى الحضر والسفر، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، إنه لينجى الله به من الهم والغم، وأقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذكم فى الله لومة لائم» وقد روى ابن ماجه بعضه عن المفلوج به.

(حديث آخر) - عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ «ردوا الخياط والمخيط، فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة»[2].

(حديث آخر) - قال أبو داود[3] حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا جرير عن مطرف، عن أبى الجهم، عن أبى مسعود الأنصارى، قال: بعثنى رسول الله ﷺ ساعيًا، ثم قال «انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجىء على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد غللته» قال: إذًا لا أنطلق، قال «إذًا لا أكرهك»، تفرد به أبو داود.

(حديث آخر) - قال أبو بكر بن مردويه[4]: أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة، أنبأنا عبد الحميد بن صالح، أنبأنا أحمد بن أبان عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة عن أبيه، عن النبى ﷺ، قال «إن الحجر ليُرْمى به فى جهنم فيهوى سبعين خريفًا ما يبلغ قعرها، ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل ائت به، فذلك قوله ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾».

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد[5]: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنى سماك الحنفى أبو زميل، حدثنى عبد الله بن عباس، حدثنى عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم خيبر

---

(١) صحيح: المسند (٢٢٢٨٩)، انظر السلسلة الصحيحة (٦٧٠).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٢٦٩٤)، والنسائي برقم (٣٦٨٨)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٣) حسن: أبو داود برقم (٢٩٤٧)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٤) البيهقي في «الشعب» (٤/ ٦٤)، برقم (٤٣٣٤)، من طريق إسماعيل بن أبان الوراق الكوفي عن محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد به.

(٥) صحيح: المسند (٢٠٣)، انظر المشكاة (٤٠٣٤).

obeikandi.com

أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى أتوا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ «كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها - أو عباءة.» ثم قال رسول الله ﷺ «يا ابن الخطاب اذهب فناد فى الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» . قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وكذا رواه مسلم والترمذى [(١)] من حديث عكرمة بن عمار به. وقال الترمذى: حسن صحيح.

(حديث آخر عن عمر رضى الله عنه)- قال ابن جرير [(٢)]: حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثنى عبد الله بن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث أن موسى بن جبير حدثه: أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى حدثه: أن عبد الله بن أنيس حدثه: أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يومًا الصدقة، فقال: ألم تسمع قول رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة «من غل منها بعيرًا أو شاة فإنه يحمله يوم القيامة» ؟ قال عبد الله بن أنيس: بلى. ورواه ابن ماجه [(٣)] عن عمرو بن سَوّاد عن عبد الله بن وهب به.

(حديث آخر)- قال ابن جرير [(٤)]: حدثنا سعيد بن يحيى الأموى، حدثنا أبى، حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدقًا، فقال: إياك يا سعد أن تجىء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء» . قال: لا آخذه ولا أجىء به، فأعفاه ثم رواه من طريق عبيد الله عن نافع به نحوه.

(حديث آخر)- قال أحمد [(٥)]: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة عن سالم بن عبد الله أنه كان مع مسلمة بن عبد الملك فى أرض الروم، فوجد فى متاع رجل غلولاً، قال: فسأل سالم بن عبد الله، فقال: حدثنى أبى عبد الله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتم فى متاعه غلولاً فاحرقوه - قال: وأحسبه قال: واضربوه» قال: فأخرج متاعه فى السوق فوجد فيه مصحفًا، فسأل سالمًا فقال: بعه وتصدق بثمنه، وكذا رواه على بن المدينى وأبو داود والترمذى [(٦)] من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردى، زاد أبو داود وأبو إسحاق الفزارى، كلاهما عن أبى واقد الليثى الصغير صالح بن محمد بن زائدة به.

وقد قال على بن المدينى والبخارى وغيرهما: هذا حديث منكر من رواية أبى واقد هذا، وقال الدارقطنى: الصحيح أنه من فتوى سالم فقط، وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ومن تابعه من أصحابه، وقد رواه الأموى عن معاوية عن أبى إسحاق، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: عقوبة الغال أن يخرج رحله فيحرق على ما فيه. ثم روى عن

---

(١) مسلم برقم (١١٤)، الترمذي برقم (١٥٧٤).

(٢) صحيح: ابن جرير (٤/ ١٦٠)، انظر السلسلة الصحيحة (٢٣٥٤).

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٨١٠)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

(٤) ابن جرير (٤/ ١٦٠)، وفيه سعيد بن يحيى الأموى: صدوق ويخطئ.

(٥) ضعيف: المسند (١٤٥)، وفيه صالح بن محمد بن زائدة: ضعيف.

(٦) ضعيف: أبو داود (٢٧١٣)، والترمذي (١٤٦١)، انظر ضعيف سنن أبي داود.

معاوية عن أبى إسحاق عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن على، قال: الغال يجمع رحله فيحرق ويجلد دون حد المملوك ويحرم نصيبه، وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعى والجمهور فقالوا: لا يحرق متاع الغال بل يعزر تعزير مثله، وقال البخارى: وقد امتنع رسول الله ﷺ من الصلاة على الغال، ولم يحرق متاعه، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [١] : حدثنا أسود بن عامر، أنبأنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن جبير بن مالك، قال: أمر بالمصاحف أن تغير، قال: فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغل مصحفًا فليغله، فإنه من غل شيئًا جاء به يوم القيامة، ثم قال: قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة، أفأترك ما أخذت من فى رسول الله ﷺ - .

وروى وكيع فى تفسيره عن شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم، قال: لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: يا أيها الناس غلوا المصاحف، فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة، ونعم الغل المصحف يأتى به أحدكم يوم القيامة - وقال أبو داود [٢] ، عن سمرة بن جندب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غنم غنيمة أمر بلالاً فينادى فى الناس، فيجيئون بغنائمهم، فيخمسه ويقسمه، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر فقال: يا رسول الله، هذا كان مما أصبنا من الغنيمة، فقال «أسمعت بلالاً ينادى» ثلاثًا؟ قال: نعم. قال «فما منعك أن تجىء» ؟ فاعتذر إليه فقال «كلا أنت تجىء به يوم القيامة فلن أقبله منك».

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ أى لا يستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه، وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير، وهذه الآية لها نظائر كثيرة فى القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾[الرعد: ١٩] ، وكقوله ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ الآية[القصص: ٦١] . ثم قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

قال الحسن البصرى ومحمد بن إسحاق: يعنى أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدة والكسائى: منازل، يعنى متفاوتون فى منازلهم ودرجاتهم فى الجنة ودركاتهم فى النار، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ الآية[الأنعام: ١٣٢] ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أى وسيوفيهم إياها، لا يظلمهم خيرًا ولا يزيدهم شرًا، بل يجازى كل عامل بعمله، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] أى من جنسكم، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[الكهف: ١١٠] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾[يوسف: ١٠٩] وقال

---

(١) أحمد برقم (٣٩١٩)، وفيه أبو إسحاق: مدلس وقد عنعن.

(٢) حسن: أبو داود برقم (٢٧١٢)، انظر صحيح سنن أبي داود.

تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فهذا أبلغ فى الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته فى فهم الكلام عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذى كانوا متلبسين به فى حال شركهم وجاهليتهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ يعنى القرآن والسنة، ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾ أى من قبل هذا الرسول ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أى لفى غى وجهل ظاهر جلى بيّن لكل أحد.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ وهى ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ يعنى يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلاً، وأسروا سبعين أسيرًا، ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أى من أين جرى علينا هذا ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾.

قال ابن أبى حاتم (١): حدثنا أبى، أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا قُراد أبو نوح، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا سماك الحنفى أبو زميل، حدثنى ابن عباس، حدثنى عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ بأخذكم الفداء. وهكذا رواه الإمام أحمد (٢) عن عبد الرحمن بن غزوان وهو قُراد أبو نوح بإسناده ولكن بأطول منه، وهكذا قال الحسن البصرى.

وقال ابن جرير (٣): حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا إسماعيل ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيد، ح، قال سُنَيد وهو حسين: وحدثنى حجاج عن جرير، عن محمد عن عبيدة، عن على رضى الله عنه، قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد، إن الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين: إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، قال: فدعا رسول الله ﷺ الناس، فذكر لهم ذلك فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا ألا نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا، ويستشهد منا عدتهم، فليس فى ذلك ما نكره؟ قال: فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلاً، عدة أسارى أهل بدر، وهكذا رواه

---

(١) **صحيح**: من هذا الطريق أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٢)، انظر فقه السيرة ص (٢٣٦)

(٢) **صحيح**: المسند (٢٠٨)، انظر فقه السيرة ص (٢٣٦).

(٣) ابن جرير (٤/ ١٦٦).

النسائى والترمذى(١) من حديث أبى داود الحفرى عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، عن سفيان بن سعيد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين به، ثم قال الترمذى: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زائدة، وروى أبو أسامة عن هشام نحوه، وروى عن ابن سيرين عن عبيدة، عن النبى ﷺ مرسلاً.

وقال محمد بن إسحاق وابن جريج والربيع بن أنس والسدى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أى بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم، يعنى بذلك الرماة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى فراركم بين يدى عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة فى ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ يعنى بذلك أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول الذين رجعوا معه فى أثناء الطريق، فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الإياب والقتال والمساعدة، ولهذا قال ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو صالح والحسن والسدى: يعنى كثروا سواد المسلمين.

وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء، وقال غيره: رابطوا، فتعللوا قائلين ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال مجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربًا لجئناكم، ولكن لا تلقون قتالاً.

قال محمد بن إسحاق(٢): حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبّان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يعنى حين خرج إلى أحد فى ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة، انحاز عنه عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم فخرج وعصانى، ووالله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإنصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال، فيكون فى حال أقرب إلى الكفر، وفى حال أقرب إلى الإيمان، لقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعنى أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قولهم هذا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاءوا من بلاد

(١) صحيح: الترمذي برقم (١٥٦٧)، انظر صحيح جامع الترمذي، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٠٠) برقم (٨٦٦٢).

(٢) ابن جرير (٤/ ١٦٨) وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٥٦) وهذا هو الصحيح في سبب نزولها.

بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من سراتهم يوم بدر. وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة. ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ أى لو سمعوا من مشورتنا عليهم فى القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أى إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغى أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم فى بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه.

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ حزب ٨
وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾
إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا فى هذه الدار، فإن أرواحهم حية مرزوقة فى دار القرار.

قال محمد بن جرير[1]: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا عمرو بن يونس عن عكرمة، حدثنا ابن إسحاق بن أبى طلحة، حدثنى أنس بن مالك فى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أرسلهم نبى الله ﷺ إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدرى أربعين أو سبعين، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى، فخرج أولئك النفر من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء فقعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصارى -: أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فخرج حتى أتى حيًا منهم فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إنى رسول رسول الله إليكم، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح، فضربه فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل، وقال إسحاق: حدثنى أنس بن مالك أن الله أنزل فيهم قرآنًا: «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه»، ثم نسخت فرفعت بعد ما قرأناها زمانًا، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

وقد قال مسلم[2] فى صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال

(١) ابن جرير (٤/ ١٧٣). (٢) مسلم برقم (١٨٨٧).

«أرواحهم فى جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا: أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا» وقد روى نحوه من حديث أنس وأبى سعيد.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [١]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ، قال «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة» تفرد به مسلم [٢] من طريق حماد.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [٣]: حدثنا على بن عبد الله المدينى، حدثنا سفيان عن محمد بن على بن ربيعة السلمى، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: قال لى رسول الله ﷺ «أعلمت أن الله أحيا أباك، فقال له: تمن على. فقال له: أرد إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى. قال: إنى قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون». تفرد به أحمد من هذا الوجه. وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما: أن أبا جابر وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى رضى الله عنه، قتل يوم أحد شهيدًا. قال البخارى [٤]: وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر: سمعت جابرًا قال لما قتل أبى: جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونى والنبى ﷺ لم ينه، وقال النبى ﷺ «لا تبكه - أو ما تبكيه - ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» وقد أسنده هو ومسلم والنسائى من طريق آخر عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: لما قتل أبى يوم أحد، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى، وذكر تمامه بنحوه.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [٥]: حدثنا يعقوب، حدثنا أبى عن ابن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبى الزبير المكى، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن متقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وما بعدها» هكذا رواه أحمد، وكذا رواه ابن جرير [٦] عن يونس، عن ابن

---

(١) صحيح: المسند (١١٨٦٤)، انظر صحيح الجامع (٥٧٩٢).
(٢) مسلم برقم (١٨٧٧).
(٣) صحيح: المسند (١٤٤٦٧)، انظر السلسلة الصحيحة.
(٤) البخارى برقم (٤٠٨٠).
(٥) حسن: المسند (٢٣٨٤)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٩).
(٦) صحيح: ابن جرير، (٤/ ١٧٠)، انظر صحيح الجامع (٥٢٠٥).

وهب، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن إسحاق به. ورواه أبو داود والحاكم فى مستدركه[١] من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبى الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره، وهذا أثبت. وكذا رواه سفيان الثورى عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - وروى الحاكم[٢] فى مستدركه من حديث أبى إسحاق الفزارى، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية فى حمزة وأصحابه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وكذلك قال قتادة والربيع والضحاك: إنها نزلت فى قتلى أحد.

(حديث آخر) قال أبو بكر بن مردويه[٣]، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا هارون بن سليمان، أنبأنا على بن عبد الله المدينى، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى، سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمة الأنصارى، قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال «يا جابر مالى أراك مهتمًا؟» قال قلت: يا رسول الله، استشهد أبى وترك دينًا وعيالاً، قال: فقال: «ألا أخبرك ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا»، قال على: الكفاح المواجهة «قال: سلنى أعطك. قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه قد سبق منى القول: أنهم إليها لا يرجعون. قال: أى رب فأبلغ من ورائى، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ الآية». ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سليط الأنصارى، عن أبيه عن جابر، به نحوه. وكذا رواه البيهقى[٤] فى دلائل النبوة من طريق على بن المدينى به. وقد رواه البيهقى[٥] أيضًا من حديث أبى عبادة الأنصارى وهو عيسى بن عبد الرحمن إن شاء الله عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال النبى ﷺ لجابر «يا جابر ألا أبشرك» قال: بلى، بشرك الله بالخير، قال «شعرت أن الله أحيا أباك، فقال: تمن على عبدى ما شئت أعطكه، قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى، قال: إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع».

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[٦]: حدثنا يعقوب، حدثنا أبى عن ابن إسحاق، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصارى عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» تفرد به أحمد.

---

(١) حسن: أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٧) برقم (٢٤٤٤)، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٩) برقم (٣٤٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) ضعيف: أخرجه من هذا الطريق الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٤) برقم (٤٩١٤)، وفيه: طلحة بن خراش، روى عن جابر مناكير، وقال عن ابن حبان يخطئ، وموسى بن إبراهيم.

(٤) ضعفه بعضهم: أورده المزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ٣٩٤)، من طريق ابن المديني وعلته لعلة ما قبله.

(٥) ضعيف جدًا: أورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣١٧) وقال: رواه الطبراني والبزار من طريق الفيض بن وثيق عن أبي عبادة الزرقي وكلاهما ضعيف.

(٦) حسن: المسند (٢٣٨٦)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٨).

وقد رواه ابن جرير عن أبى كريب: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبيدة عن محمد بن إسحاق به، وهو إسناد جيد. وكأن الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم فى الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح، والله أعلم - وقد روينا فى مسند الإمام أحمد حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون فى الجنة تسرح أيضًا فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد [1] رحمه الله، رواه عن محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله، عن مالك بن أنس الأصبحى رحمه الله، عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قوله «يعلق» أى يأكل، وفى هذا الحديث «إن روح المؤمن تكون على شكل طائر فى الجنة» وأما أرواح الشهداء فكما تقدم فى حواصل طير خضر، فهى كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان - وقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى آخر الآية، أى الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله أحياء عند ربهم، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم فى سبيل الله أنهم يقدمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم، نسأل الله الجنة. قال محمد بن إسحاق ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ أى ويسرون بلحوق من خلفهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم.

قال السدى: يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيسر بذلك كما يسر أهل الدنيا بغائبهم إذا قدم، وقال سعيد بن جبير: لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء، قالوا: يا ليت إخواننا الذين فى الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا القتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأخبر رسول الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم، أى ربهم، أنى قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم وما أنتم فيه، فاستبشروا بذلك، فذلك قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية، وقد ثبت فى الصحيحين [2] عن أنس رضى الله عنه فى قصة أصحاب بئر معونة السبعين من الأنصار الذين قتلوا فى غداة واحدة، وقنت رسول الله ﷺ يدعو على الذين قتلوهم ويلعنهم، قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع «أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا».

ثم قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسروا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم، وقلما ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثوابًا أعطاهم الله إياه، إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ

---

(١) صحيح: المسند (١٥٣٥١)، انظر المشكاة (١٦٣٢).

(٢) البخاري برقم (٣٠٦٤)، ومسلم برقم (٦٧٧).

﴿وَالرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين، كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا فى سيرهم ندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريهم أن بهم قوة وجلدًا، ولم يأذن لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أحد سوى جابر بن عبد الله رضى الله عنه، لما سنذكره، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

قال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو، عن عكرمة، قال: لما رجع المشركون عن أحد، قالوا: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، بئس ما صنعتم، ارجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر أبى عيينة - الشك من سفيان - فقال المشركون: نرجع من قابل، فرجع رسول الله ﷺ، فكانت تعد غزوة، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ ورواه ابن مردويه [(٢)] من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره - وقال محمد بن إسحاق: كان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذّن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو، وأذّن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع، وقال: يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسى فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم. قال محمد بن إسحاق [(٣)]: حدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ من بنى عبد الأشهل، كان قد شهد أحدًا، قال: شهدتُ أحدًا مع رسول الله ﷺ أنا وأخى فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب العدو، قلت لأخى - أو قال لى -: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله، وكنت أيسر جراحًا منه، فكان إذا غلب حملته عُقبة ومشى عُقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. وقال البخارى [(٤)]: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، قلت لعروة: يا ابن أختى كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما لما أصاب

---

(١) أورده ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٢٨)، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة وليس فيه ابن عباس.
(٢) عزاه ابن حجر في الفتح لابن مردويه، انظر ما قبله.
(٣) ابن جرير (٤/ ١٧٦) من طريق محمد بن إسحاق به.
(٤) البخاري برقم (٤٠٧٧).

نبى الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، فقال «من يرجع فى أثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير رضى الله عنهما ، هكذا رواه البخارى منفردًا به بهذا السياق، وهكذا رواه الحاكم فى مستدركه[١] عن الأصم، عن عباس الدورى، عن أبى النضر، عن أبى سعيد المؤدب، عن هشام بن عروة به، ثم قال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كذا قال. ورواه ابن ماجه[٢] عن هشام بن عمار، وهديّة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة. عن هشام بن عروة به، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدى[٣] فى مسنده عن سفيان به.

وقد رواه الحاكم[٤] أيضًا من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن البهى، عن عروة، قال: قالت لى عائشة: يا بنى إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه - وقال أبو بكر بن مردويه[٥] : حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه، أنبأنا سمويه، أنبأنا عبد الله بن الزبير، أنبأنا سفيان، أنبأنا هشام عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال لى رسول الله ﷺ «إن أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أبو بكر والزبير رضى الله عنهما» ، ورفع هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده لمخالفته رواية الثقات من وقفه على عائشة رضى الله عنها كما قدمناه، ومن جهة معناه فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة، وإنما قالت ذلك عائشة لعروة بن الزبير، لأنه ابن أختها أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم.

وقال ابن جرير[٦] : حدثنى محمد بن سعد، حدثنى عمى، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبى ﷺ «إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا، وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب» ، وكانت وقعة أحد فى شوال، وكان التجار يقدمون المدينة فى ذى القعدة، فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى النبى ﷺ واشتد عليهم الذى أصابهم، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال «إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج، ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل» فجاء الشيطان فخوّف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم، فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال «إنى ذاهب وإن لم يتبعنى أحد لأحضض الناس» فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلاً، فساروا فى طلب أبى سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٦) برقم (٣١٦٦)، وفيه عباس الدوري: صدوق.
(٢) صحيح: ابن ماجه برقم (١٢٤)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.
(٣) سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١٢٥)، وقال: سنده صحيح.
(٤) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٠٩) برقم (٥٥٦١).
(٥) ابن جرير (٤/ ١٧٨) من طريق سعيد بن الربيع عن سفيان به.
(٦) ابن جرير (٤/ ١٧٧).

وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ الآية، ثم قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة، وقد مر به - كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر - معبد بن أبى معبد الخزاعى، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ كان مشركًا، فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا حَدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم؟ لنكرّنّ على بقيتهم ثم فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبدًا، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد وأصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثلهم، يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل.

قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإنى أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عَدْوًا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالخيل
إنى نذير لأهل البَسْل ضاحية ... لكل ذى إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومر به ركب من بنى عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غدًا زبيبًا بعكاظ إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾. وذكر ابن هشام عن أبى عبيدة، قال: قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم «والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو أصبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب» وقال الحسن البصرى فى قوله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان قد رجع وقد قذف الله فى قلبه الرعب، فمن ينتدب فى طلبه؟ فقام النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فاتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبى ﷺ يطلبه، فلقى عيرًا من التجار فقال: ردوا محمدًا ولكم من الجعل كذا وكذا، وأخبروهم أنى قد جمعت لهم جموعًا وأنى راجع إليهم، فجاء التجار فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال

obeikandi.com

النبى ﷺ «حسبنا الله ونعم الوكيل» . فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال عكرمة وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل فى شأن حمراء الأسد، وقيل: نزلت فى بدر الموعد، والصحيح الأول. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ الآية، أى الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به، ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

قال البخارى [١]: حدثنا أحمد بن يونس، قال: أراه قال: حدثنا أبو بكر عن أبى حصين، عن أبى الضحى، عن ابن عباس ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانًا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل . وقد رواه النسائى [٢] عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله، كلاهما عن يحيى بن أبى بكير، عن أبى بكر وهو ابن عياش به، والعجب أن الحاكم أبا عبد الله [٣] رواه من حديث أحمد بن يونس به، ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ثم رواه البخارى [٤] عن أبى غسان مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبى حصين عن أبى الضحى، عن ابن عباس، قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. وقال عبد الرزاق: قال ابن عيينة: وأخبرنى زكريا عن الشعبى، عن عبد الله بن عمرو، قال: هى كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، رواه ابن جرير.

وقال أبو بكر بن مردويه [٥]: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا إبراهيم بن موسى الثورى، حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكرى، أنبأنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ أنه قيل له يوم أحد: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فأنزل الله هذه الآية. وروى أيضًا بسنده عن محمد بن عُبيد الله الرافعى، عن أبيه، عن جده أبى رافع: أن النبى ﷺ ، وجه عليًا فى نفر معه فى طلب أبى سفيان، فلقيهم أعرابى من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فنزلت فيهم هذه الآية. ثم قال ابن مردويه [٦]: حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا الحسن بن سفيان، أنبأنا أبو خيثمة مصعب بن سعيد، أنبأنا موسى بن أعين، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾» هذا حديث غريب من هذا الوجه - وقد قال الإمام أحمد [٧]: حدثنا حيوة بن شريح وإبراهيم بن أبى العباس، قالا: حدثنا بقية، حدثنا بحير بن سَعْد عن خالد بن معدان، عن سيف، عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبى ﷺ ، قضى بين رجلين، فقال: المقضى

(١) البخاري برقم (٤٥٦٣).
(٢) صحيح: النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٦) برقم (١١٠٨١)، انظر الكلم الطيب (١٢٩).
(٣) صحيح: الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٦) برقم (٣١٦٧)، وفيه أبو بكر بن عياش: صدوق يهم، وقد عنعنه.
(٤) البخاري برقم (٤٥٦٤).
(٥) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير (٤/ ١٨٠).
(٦) عزاه العجلوني في «فيض القدير» (١/ ٤٥٥) لابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف.
(٧) ضعيف: المسند (٢٣٤٦٣)، انظر ضعيف الجامع (١٧٥٩).

عليه لما أدبر: حسبى الله ونعم الوكيل، فقال النبى ﷺ «ردوا على الرجل» فقال: «ما قلت؟» قال: قلت: حسبى الله ونعم الوكيل. فقال النبى ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: «حسبى الله ونعم الوكيل» وكذا رواه أبو داود والنسائى[١] من حديث بقية عن بحير عن خالد، عن سيف وهو الشامى، ولم ينسب عن عوف بن مالك عن النبى ﷺ بنحوه - وقال الإمام أحمد[٢]: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف عن عطية، عن ابن عباس فى قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[المدثر: ٨]، قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ؟» فقال أصحاب رسول الله ﷺ. فما نقول؟ قال «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا» وقد روى هذا من غير وجه، وهو حديث جيد، وروينا عن أم المؤمنين زينب وعائشة رضى الله عنهما، أنهما تفاخرتا، فقالت زينب: زوجنى الله وزوجكن أهاليكن، وقالت عائشة: نزلت براءتى من السماء فى القرآن، فسلمت لها زينب، ثم قالت: كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: حسبى الله ونعم الوكيل[٣].

قالت زينب: قلت كلمة المؤمنين، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ أى لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم وردّ عنهم بأس من أراد كيدهم فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ وقال البيهقى[٤]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد، حدثنا محمد بن نعيم، حدثنا بشر بن الحكم، حدثنا مبشر بن عبد الله بن رزين، حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم، عن عكرمة، عن ابن عباس فى قول الله تعالى ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال: النعمة أنهم سلموا، والفضل أن عيرًا مرت وكان فى أيام الموسم فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالاً فقسمه بين أصحابه، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ قال: هذا أبو سفيان، قال لمحمد ﷺ، موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا. فقال محمد ﷺ «عسى»، فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدرًا، فوافقوا السوق فيها، فابتاعوا، فذلك قول الله عز وجل: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ الآية، قال: وهى غزوة بدر الصغرى، رواه ابن جرير، وروى أيضًا عن القاسم، عن الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، قال: لما عهد رسول الله ﷺ لموعد أبى سفيان فجعلوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يكيدونهم بذلك، يريدون أن يرعبوهم، فيقول المؤمنون: حسبنا الله ونعم الوكيل، حتى قدموا بدرًا، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد، قال: فقدم رجل من المشركين فأخبر أهل مكة بخيل محمد، وقال فى ذلك:

---

(١) ضعيف: أبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٦٠) برقم (٣٠٠١).

(٢) المسند (١٠٤٦٢)، انظر ضعيف سنن أبي داود وفيه عطية العوفي، ضعفه بعضهم، وقيل: لين.

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» بنحوه (١٤/ ١٩٥).

(٤) أورده الهيثمي بنحوه في «المجمع» (٦/ ١٢١) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة.

نفرت قلوصى من خيول محمد وعجوة منشورة كالعنجد
واتخذت ماء قديد موعدى

قال ابن جرير: هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ، وإنما هو:

قد نفرت من رفقتى محمد وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعد
وماء ضجنان لها ضحى الغد

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أى يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أى إذا سول لكم وأوهمكم فتوكلوا على والجأوا إلى، فإنى كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] وقال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وقال ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ الآية [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ وذلك من شدة حرصه على الناس، كان يحزنه مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى: لا يحزنك ذلك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أى حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته أن لا يجعل لهم نصيبًا فى الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثم قال تعالى مخبرًا عن ذلك إخبارًا مقررًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أى استبدلوا هذا بهذا ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أى ولكن يضرون أنفسهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم قال تعالى، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ كقوله ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] وكقوله ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] وكقوله ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ

﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥] ثم قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أى لا بد أن يعقد سببًا من المحنة، يظهر فيه وليه ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعنى بذلك يوم أحد الذى امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به أستار المنافقين. فظهر مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

قال مجاهد: ميز بينهم يوم أحد، وقال قتادة: ميز بينهم بالجهاد والهجرة، وقال السدى: قالوا: إن كان محمد صادقًا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر، فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أى حتى يخرج المؤمن من الكافر، روى ذلك كله ابن جرير - ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أى أنتم لا تعلمون غيب الله فى خلقه حتى يميز لكم المؤمن من المنافق لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك. ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] ثم قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أى أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه بل هو مضرة عليه فى دينه، وربما كان فى دنياه. ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة، فقال ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قال البخارى[(١)]: حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار عن أبيه، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية، تفرد به البخارى دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه ابن حبان[(٢)] فى صحيحه من طريق الليث بن سعد عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبى صالح به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[(٣)]: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ، قال «إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يمثل الله له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان، ثم يلزمه يطوقه يقول: أنا كنزك أنا كنزك» وهكذا رواه النسائى[(٤)] عن الفضل بن سهل عن أبى النضر هاشم بن القاسم عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى

---

(١) البخاري برقم (٤٥٦٥).

(٢) **صحيح**: ابن حبان (٨/ ٥٠) برقم (٣٢٥٨)، انظر السلسلة الصحيحة (٥٥٨).

(٣) **صحيح**: المسند (٥٦٩٦)، انظر صحيح الجامع (١٦٩٠).

(٤) **صحيح**: النسائي (٢٤٨١)، انظر صحيح سنن النسائي.

سلمة به. ثم قال النسائى: ورواية عبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أثبت من رواية عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن دينار، عن أبى صالح عن أبى هريرة.

(قُلْتُ) ولا منافاة بين الروايتين، فقد يكون عند عبد الله بن دينار من الوجهين، والله أعلم، وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مردويه (١) من غير وجه عن أبى صالح، عن أبى هريرة. ومن حديث محمد بن أبى حميد عن زياد الخطمى عن أبى هريرة به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢): حدثنا سفيان عن جامع، عن أبى وائل، عن عبد الله، عن النبى ﷺ قال «ما من عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا جعل له شجاع أقرع يتبعه، يفر منه وهو يتبعه، فيقول: أنا كنزك» ثم قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه (٣) من حديث سفيان بن عيينة عن جامع بن أبى راشد، زاد الترمذى: وعبد الملك بن أعين، كلاهما عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود به، وقال الترمذى: حسن صحيح. وقد رواه الحاكم (٤) فى مستدركه من حديث أبى بكر بن عياش وسفيان الثورى، كلاهما عن أبى إسحاق السبيعى، عن أبى وائل، عن ابن مسعود به، ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود موقوفًا.

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى (٥): حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد، عن معدان بن أبى طلحة، عن ثوبان عن النبى ﷺ قال «من ترك بعده كنزًا مثل له شجاعًا أقرع يوم القيامة له زبيبتان يتبعه، ويقول: من أنت؟ ويلك، فيقول: أنا كنزك الذى خلفت بعدك، فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها، ثم يتبع سائر جسده» إسناده جيد قوى، ولم يخرجوه. وقد رواه الطبرانى (٦) عن جرير بن عبد الله البجلى، ورواه ابن جرير وابن مردويه (٧) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، عن النبى ﷺ، قال «لا يأتى الرجل مولاه فيسأله من فضل ماله عنده فيمنعه إياه إلا دُعى له يوم القيامة شجاعًا يتلمظ فضله الذى منع» لفظ ابن جرير، وقال ابن جرير (٨) حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود عن أبى قزعة، عن رجل، عن النبى ﷺ، قال «ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده، فيبخل به عليه، إلا

---

(١) عزاه المصنف لابن مردويه من غير وجه عن أبي صالح عن أبي هريرة، ومن حديث محمد بن أبي حميد عن زياد الخطمي عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: المسند (٣٥٦٧)، انظر صحيح الجامع (٥٧٠٧).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٠١٢)، النسائي (٢٤٤١)، ابن ماجه (١٧٨٤)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٤) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٧) برقم (٣١٦٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٢٩) رواه كله الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات.

(٥) من هذا الطريق أخرجه ابن جرير (١٠/ ١٢٤)، وانظر «موارد الظمآن» (١/ ٢٠٥)، وقال المصنف: إسناده جيد.

(٦) صحيح: عزاه الحافظ المنذري في «ترغيبه» (١/ ٣٠٧) للطبراني، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٧٥٩).

(٧) حسن: ابن جرير (٤/ ١٩١)، وعزاه المصنف لابن مردويه، وانظر صحيح الجامع (٧٥٧٥).

(٨) ابن جرير (٤/ ١٩١).

أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه» ثم رواه من طريق أخرى عن أبى قزعة واسمه حجير بن بيان، عن أبى مالك العبدى موقوفًا، ورواه من وجه آخر عن أبى قزعة مرسلاً.

وقال العوفى عن ابن عباس: نزلت فى أهل الكتاب الذين بخلوا بما فى أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها، رواه ابن جرير، والصحيح الأول وإن دخل هذا فى معناه، وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول، والله سبحانه وتعالى أعلم، وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد: ٨] فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل. فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أى بنياتكم وضمائركم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[البقرة: ٢٥٤] قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية، رواه ابن مردويه وابن أبى حاتم. وقال محمد بن إسحاق: حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود أناسًا كثيرًا قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع، فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم فى التوراة والإنجيل.

فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذى نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أبصر ما صنع بى صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر: «ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟» فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قد قال قولاً عظيمًا، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك، غضبت لله مما قال، فضربت وجهه، فجحد فنحاص ذلك، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله فيما قال فنحاص ردًا عليه وتصديقًا لأبى بكر ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية، رواه ابن أبى حاتم.

وقوله ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ تهديد ووعيد، ولهذا قرنه تعالى بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أى هذا قولهم فى الله وهذه معاملتهم لرسل الله وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء، ولهذا قال تعالى:

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أى يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ يقول تعالى تكذيبًا أيضًا لهؤلاء الذين زعموا أن الله عهد إليهم فى كتبهم، أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته، فتقبلت منه، أن تنزل نار من السماء تأكلها، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى بالحجج والبراهين، ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ أى وبنار تأكل القرابين المتقبلة، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أى فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل. ثم قال تعالى مسليًا لنبيه محمد ﷺ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ أى لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات وهى الحجج والبراهين القاطعة، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ وهى الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ أى البين الواضح الجلى.

ربع الحزب ٨

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

يخبر تعالى إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] فهو تعالى وحده هو الحى الذى لا يموت، والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولاً، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها فى صلب آدم وانتهت البرية، أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا أبى، حدثنا عبد العزيز الأويسى، حدثنا على بن أبى على الهاشمى عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، عن أبيه، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: لما توفى النبى ﷺ وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال جعفر بن محمد: فأخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه

(١) منكر: الطبراني في «الكبير»، (٣/ ١٢٩)، برقم (٢٨٩٠)، وفيه عبد الله بن ميمون القداح: منكر.

السلام. وقوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أى من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز.

قال ابن أبى حاتم [(١)]: حدثنا أبى، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾» هذا حديث ثابت فى الصحيحين [(٢)]، من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم، وابن حبان فى صحيحه والحاكم [(٣)] فى مستدركه، ومن حديث محمد بن عمرو هذا ورواه ابن مردويه [(٤)] من وجه آخر، فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، أنبأنا حميد بن مسعدة أنبأنا عمرو بن على عن أبى حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ «لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها» قال: ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ما رواه الإمام أحمد [(٥)] عن وكيع بن الجراح عن الأعمش، عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده عن وكيع به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ تصغير لشأن الدنيا، وتحقير لأمرها، وأنها دنيئة فانية، قليلة زائلة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧] وقال تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] وفى الحديث «والله ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم ترجع إليه» [(٦)] وقال قتادة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾. قال: هى متاع متروكة أوشكت - والله الذى لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله،

وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] إلى آخر الآيتين، أى لا بد أن يبتلى المؤمن فى شئ من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله، ويبتلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى البلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ يقول تعالى

---

(١) صحيح: الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٧) برقم (٣١٧٠)، من طريق أبي مدر شجاع بن الوليد عن محمد بن عمرو به، انظر صحيح الجامع (٦٦٣٥).

(٢) البخاري برقم (٦٤١٥)، ومسلم برقم (١٨٨١) من حديث سهل بن سعد.

(٣) صحيح: عزاه المصنف لابن أبي حاتم وأخرجه ابن حبان (١٦/ ٤٣٣) برقم (٧٤١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٧)، برقم (٣١٧٠)، انظر الصحيحة (١٩٧٨).

(٤) صحيح: أخرجه الجرجاني في «تاريخه» (١/ ٤٣١)، انظر صحيح الجامع (٦٦٣٥).

(٥) المسند (٦٧٦٨)، ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٥٨)، الترمذي (٢٣٢٣)، من حديث مستورد بن شداد.

للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسليًا لهم عما نالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، وآمرًا لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

قال ابن أبي حاتم [١]: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد أخبره، قال: كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ قال: وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، هكذا ذكره مختصرًا، وقد ذكره البخاري [٢] عند تفسير هذه الآية مطولاً، فقال: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد، حدثه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ، ثم وقف، فنزل، ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا فلا تؤذنا به في مجالسنا. ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ «يا سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب» يريد عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا، فقال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح، فوالله الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شرق بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ، وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية، وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به حتى أذن الله له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش قال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام وأسلموا فكل من قام بحق أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله والرجوع إلى الله عز وجل.

---

(١) صحيح: الطبراني في «الكبير» (١/ ١٦٣) برقم (٣٨٩)، من طريق الحكم بن نافع عن شعيب بن أبي حمزة به.
(٢) البخاري برقم (٤٥٦٦).

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره فى الناس، ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير فى الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوى السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفى هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسالكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد فى الحديث المروى من طرق متعددة عن النبى ﷺ، أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[(١)] وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾، يعنى بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء فى الصحيحين[(٢)] عن النبى ﷺ «من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها، لم تزده من الله إلا قلة»، وفى الصحيحين[(٣)] أيضًا «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور»، وقال الإمام أحمد[(٤)]: حدثنا حجاج عن ابن جريج، أخبرنى ابن أبى مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس: وما لكم وهذه، إنما نزلت هذه فى أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ الآية.

وقال ابن عباس: سألهم النبى ﷺ عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أوروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه، وهكذا رواه البخارى فى التفسير، ومسلم والترمذى والنسائى فى تفسيريهما، وابن أبى حاتم، وابن جرير، والحاكم فى مستدركه وابن مردويه كلهم من حديث عبد الملك بن جريج بنحوه، ورواه البخارى أيضًا من حديث ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن علقمة بن وقاص، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فذكره.

---

(١) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، الترمذي برقم (٢٦٤٩)، ابن ماجه (٢٦٦)، أحمد برقم (٧٥١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، انظر صحيح سنن أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٠)، من حديث ثابت بن الضحاك، ولم أقف عليه عند البخاري.

(٣) البخاري برقم (٥٢١٩)، ومسلم برقم (٢١٣٠)، من حديث أسماء بنت الصديق.

(٤) صحيح: المسند (٢٧٠٧)، انظر صحيح جامع الترمذي (٣٠١٤).

وقال البخاري [1] : حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا محمد بن جعفر حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية، وكذا رواه مسلم [2] من حديث ابن أبي مريم بنحوه. وقد رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، قال: كان أبو سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت عند مروان فقال: يا أبا سعيد أرأيت قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك، إنما ذاك أن ناسًا من المنافقين كانوا يتخلفون إذا بعث رسول الله ﷺ بعثًا، فإن كان فيهم نكبة فرحوا بتخلفهم، وإن كان لهم نصر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح، فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يعلم هذا؟ فقال مروان: أكذلك يا زيد؟ قال: نعم صدق أبو سعيد، ثم قال أبو سعيد: وهذا يعلم ذاك - يعني رافع بن خديج، ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قلائصه في الصدقة، فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمدني على ما شهدت لك، فقال أبو سعيد: شهدت الحق فقال زيد: أولا تحمدني على ما شهدت الحق؟ ثم رواه من حديث مالك عن زيد بن أسلم، عن رافع بن خديج: أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية؟ فذكره كما تقدم عن أبي سعيد رضي الله عنهم، وكان مروان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم، فقال له ما ذكرناه ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء، لأن الآية عامة في جميع ما ذكر، والله أعلم، وقد روى ابن مردويه [3] أيضًا من حديث محمد بن أبي عتيق وموسى بن عقبة عن الزهري، عن محمد بن ثابت الأنصاري، أن ثابت بن قيس الأنصاري قال: يا رسول الله، والله لقد خشيت أن أكون هلكت، قال«لم»؟ قال نهى الله المرء أن يحب أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جَهْوَري الصوت، فقال رسول الله ﷺ «ألا ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟» فقال: بلى يا رسول الله. فعاش حميدًا وقتل شهيدًا يوم مسيلمة الكذاب، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد، وبالياء على الإخبار عنهم أي لا يحسبون أنهم ناجون من العذاب بل لا بد لهم منه ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ أي هو مالك كل شيء، والقادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا غضبه ونقمته فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، والقدير الذي لا أقدر منه.

---

(١) البخاري برقم (٤٥٦٧). (٢) مسلم برقم (٢٧٧٧).

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٦٢٠) لابن مردويه من طريق زيد بن الحباب به، ورجاله ثقات إلا أن زيد بن الحباب: صدوق.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

قال الطبراني (١): حدثنا الحسين بن إسحاق التسترى، حدثنا يحيى الحمانى، حدثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أتت قريش اليهود، فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، فأتوا النبى ﷺ فقالوا: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها، وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية، وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبا كان بمكة، والله أعلم، ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى هذه فى ارتفاعها واتساعها، وهذه فى انخفاضها و كثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح والطعوم والخواص، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيرا، ويقصر الذى كان طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أى العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦] ثم وصف تعالى أولى الألباب، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾.

كما ثبت فى صحيح البخارى (٢) عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال «صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك» أى لا يقطعون ذكره فى جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته. وقال الشيخ أبو سليمان الدارانى: إنى لأخرج من منزلى فما يقع بصرى على شىء إلا رأيت لله على فيه نعمة ولى فيه عبرة، رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار وعن الحسن البصرى أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقال الفضيل قال

---

(١) الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢) برقم (١٢٣٢٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٢٩): رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني ضعيف.

(٢) البخاري برقم (١١١٧).

الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكرة ... ففى كل شىء له عبرة

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قيله تذكرًا وصمته تفكرًا، ونظره عبرًا، قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة، وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة فى نعم الله أفضل العبادة. وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها. وكان يبكى عند ذلك حتى يرفع صريعًا من بين أصحابه قد ذهب عقله.

وقال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر: كنز الرجال، وكنز الأموال. وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين، فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصدتان فى تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه. وقال الحسن البصرى: يا ابن آدم، كل فى ثلث بطنك، واشرب فى ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة. وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة. وقال بشر بن الحارث الحافى: لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى لما عصوه.

وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس، قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر. وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت، وكن فى الدنيا ضيفًا، واتخذ المساجد بيتًا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد. وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، أنه بكى يومًا بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر. وقال ابن أبى الدنيا: أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن:

نزهة المؤمن الفكر ... لذة المؤمن العبر
نحمد الله وحده ... نحن كل على خطر
رُبَّ لاَهٍ وعمرُه ... قد تَقَضَّى وما شَعَر
رب عيش قد كان فو ... ق المنى مونق الزهر
فى خرير من العيو ... ن وظل من الشجر
وسرور من النبا ... ت وطيب من الثمر
نحمد الله وحده ... إن فى ذا لمعتبر

obeikandl.com

إن في ذا لعبرة للبيب إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦] ومدح عباده المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ أى ما خلقت هذا الخلق عبثًا، بل بالحق لتجزى الذين أساءوا بما عملوا، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل، فقالوا ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أى عن أن تخلق شيئًا باطلاً ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ أى يا من خلق الخلق بالحق والعدل، يا من هو منزه عن النقائص والعيب والعبث. قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وقيضنا لأعمال ترضى بها عنا. ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم. ثم قالوا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أى أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أى يوم القيامة لا مجير لهم منك. ولا محيد لهم عما أردت بهم ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ أى داعيًا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول ﷺ ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ أى يقول آمنوا بربكم فآمنا، أى فاستجبنا له واتبعناه، أى بإيماننا واتباعنا نبيك، ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أى استرها، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فيما بيننا وبينك، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أى ألحقنا بالصالحين، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه على الإيمان برسلك، وقيل: معناه على ألسنة رسلك. وهذا أظهر - وقد قال الإمام أحمد[(١)]: حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد، عن أبى عقال، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ «عسقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا لا حساب عليهم، ويبعث منها خمسين ألفًا شهداء وفودا إلى الله، وبها صفوف الشهداء رؤوسهم مقطعة فى أيديهم تثج أوداجهم دمًا، يقولون ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ فيقول الله: صدق عبيدى اغسلوهم بنهر البيضة. فيخرجون منه نقاء بيضًا. فيسرحون فى الجنة حيث شاءوا» وهذا الحديث يعد من غرائب المسند، ومنهم من يجعله موضوعًا، والله أعلم. ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أى على رؤوس الخلائق، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أى لا بد من الميعاد الذى أخبرت عنه رسلك وهو القيام يوم القيامة بين يديك.

وقد قال الحافظ أبو يعلى[(٢)]: حدثنا الحارث بن شُريج، حدثنا المعتمر، حدثنا الفضل بن عيسى، حدثنا محمد بن المنكدر أن جابر بن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ قال «العار والتخزية تبلغ من ابن آدم فى القيامة فى المقام بين يدى الله عز وجل ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار» حديث غريب. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده، فقال البخارى[(٣)] رحمه الله: حدثنا سعيد بن أبى مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرنى

(١) ضعيف: المسند (١٢٩٤٣) وفيه أبو عقال هلال بن زيد: منكر.

(٢) ضعيف جدًا: أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ٣١١) برقم (١٧٧٦)، انظر السلسلة الضعيفة (٥٠١١).

(٣) البخاري برقم (٤٥٦٩).

شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ الآيات، ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وهكذا رواه مسلم[(١)] عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني، عن ابن أبي مريم به. ثم رواه البخاري[(٢)] من طرق عن مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل أو قبله أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها، فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح. وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن مالك به. ورواه مسلم أيضًا وأبو داود[(٣)] من وجوه أخر عن مخرمة بن سليمان به.

(طريق أخرى) لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال أبو بكر بن مردويه[(٤)]: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي، حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرّة، أنبأنا خلاد بن يحيى، أنبأنا يونس عن أبي إسحاق، عن المنهال بن عمرو، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن عبد الله بن عباس، قال: أمرني العباس أن أبيت بآل رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته. قال: فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الآخرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيره، قام فمر بي، فقال: من هذا؟ عبد الله؟ قلت: نعم، قال: فمه؟ قلت أمرني العباس أن أبيت بكم الليلة. قال: «فالحق الحق» فلما أن دخل قال: افرشنّ عبد الله؟ قال: فأتى بوسادة من مسوح. قال: فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سمعت غطيطه، ثم استوى على فراشه قاعدًا، قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها. وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي[(٥)] من حديث علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حديثًا في ذلك أيضًا.

(طريق أخرى) رواها ابن مردويه[(٦)] من حديث عاصم بن بهدلة عن بعض أصحابه، عن سعيد بن

---

(١) مسلم برقم (٧٦٣).
(٢) البخاري برقم (١١٩٨). (٣) مسلم برقم (٧٦٣)، وأبو داود برقم (١٣٦٧).
(٤) من هذا الطريق أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٨).
(٥) صحيح: مسلم (٧٣٦)، وأبو داود برقم (١٣٦٧)، والنسائي (١٧٠٥).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٢٤٢)، برقم (٦٩٦)، من طريق أبي هبيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، انظر صحيح الجامع (١٢٥٩).

جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعدما مضى ليل، فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ إلى آخر السورة ثم قال «اللَّهم اجعل فى قلبى نورًا، وفى سمعى نورًا وفى بصرى نورًا، وعن يمينى نورًا، وعن شمالى نورًا، ومن بين يدى نورًا، ومن خلفى نورًا، ومن فوقى نورًا، ومن تحتى نورًا وأعظم لى نورًا يوم القيامة» وهذا الدعاء ثابت فى بعض طرق الصحيح من رواية كريب عن ابن عباس رضى الله عنه، ثم روى ابن مردويه وابن أبى حاتم [(١)] من حديث جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أتت قريش اليهود، فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، فأتوا النبى ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه عز وجل، فنزلت ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ قال: فليتفكروا فيها، لفظ ابن مردويه.

وقد تقدم هذا الحديث من رواية الطبرانى فى أول الآية، وهذا يقتضى أن تكون هذه الآيات مكية، والمشهور أنها مدنية، ودليله الحديث الآخر.

قال ابن مردويه [(٢)]: حدثنا إسماعيل بن على بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن على الحرانى، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا حشرج بن نباتة الواسطى أبو مكرم عن الكلبى وهو أبو جَناب، عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب، فقالت: ياعبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: زر غبًا تزدد حبًا. فقال ابن عمر: ذرينا أخبرينا بأعجب شىء رأيتِهِ من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: كل أمره كان عجبًا، أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى، ثم قال «ذرينى أتعبد لربى عز وجل» قالت: فقلت والله إنى لأحب قربك، وإنى أحب أن تَعبد لربك، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح.

قالت: فقال: يارسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم وما تأخر؟ فقال: «ويحك يا بلال، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل على فى هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾» ثم قال «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وقد رواه عبد بن حميد [(٣)] فى تفسيره عن جعفر بن عون عن أبى جناب الكلبى عن عطاء. قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر

---

(١) ضعيف: الطبراني من هذا الطريق في «الكبير» (١٢/ ١٢)، برقم (١٢٣٢٢)، قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٢٩): رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

(٢) حسن: أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤٤) وللحديث شواهد من طرق أخرى يقوي بعضها بعضًا ولعله يرتقي إلى الحسن إن شاء الله تعالى.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٤٩٩) لعبد بن حميد في تفسيره، عنه عن أبي حبان الكلبي عن عطاء عن عبيد بن عمير موقوفًا.

وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهى فى خدرها، فسلمنا عليها، فقالت: من هؤلاء؟ قال: فقلنا: هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير. قالت: يا عبيد بن عمير. ما يمنعك من زيارتنا؟، قال: ما قال الأول: زر غبًا تزدد حبًا. قالت إنا لنحب زيارتك وغشيانك. قال عبد الله بن عمر: دعينا من بطالتكما هذه، أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ. قال: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجبًا، أتانى فى ليلتى حتى دخل معى فى فراشى، حتى لصق جلده بجلدى، ثم قال: «يا عائشة ائذنى لى أتعبد لربى». قالت: إنى لأحب قربك وأحب هواك. قالت: فقام إلى قربة فى البيت فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن، ثم بكى حتى رأيت أن دموعه قد بلغت حقويه، قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأيت دموعه بلغت حجره، قالت: ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت: ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر، ثم قال: الصلاة يا رسول الله، فلما رآه بلال يبكى قال: يا رسول الله، تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال «يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ ومالى لا أبكى وقد نزل على الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ - ثم - قال: «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها» وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن حبان[1] فى صحيحه عن عمران بن موسى، عن عثمان بن أبى شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سويد النخعى، عن عبد الملك بن أبى سليمان، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه. وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار عن شجاع بن أشرس به. ثم قال: حدثنى الحسن بن عبد العزيز: سمعت سنيدًا يذكر عن سفيان هو الثورى رفعه، قال «من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها ويله» يعد بأصابعه عشرًا - قال الحسن بن عبد العزيز: فأخبرنى عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعى: ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن.

قال ابن أبى الدنيا: وحدثنى قاسم بن هاشم، حدثنا على بن عياش، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعى عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنية ثم قال: يقرؤهن وهو يعقلهن.

(حديث آخر) فيه غرابة. قال أبو بكر بن مردويه[2]: حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير، حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستى (ح) قال: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو قال: أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سليمان بن موسى الزهرى، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومى، أنبأنا سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة. مظاهر بن أسلم ضعيف.

---

(١) **صحيح**: عزاه المصنف لابن أبي حاتم، وأخرجه ابن حبان (٢/ ٣٨٦) برقم (٦٢٠)، انظر السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤١)، من طريق محمد بن سنان عن هشام بن عمار به، وانظر تعليق المصنف.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أى فأجابهم ربهم، كما قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور [(١)]: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن سلمة رجل من آل أم سلمة، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء. فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ إلى آخر الآية. وقالت الأنصار: هى أول ظعينة قدمت علينا، وقد رواه الحاكم [(٢)] فى مستدركه من حديث سفيان بن عيينة. ثم قال: صحيح على شرط البخارى، ولم يخرجاه، وقد روى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ إلى آخرها، رواه ابن مردويه [(٣)]، ومعنى الآية أن المؤمنين ذوى الألباب لما سألوا ما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ هذا تفسير للإجابة، أى قال لهم مجيبًا لهم أنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى، وقوله ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أى جميعكم فى ثوابى سواء، ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ أى تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران، ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ أى ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجئوهم إلى الخروج من بين أظهرهم، ولهذا قال ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ أى إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل فى سبيل الله فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه، وقد ثبت فى الصحيحين [(٤)] أن رجلاً قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر، أيكفر الله عنى خطاياى؟ قال «نعم ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال، فقال: نعم، إلا الدّين، قاله لى جبريل آنفًا» ولهذا قال تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أى تجرى فى خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) صحيح: أخرجه سعيد بن منصور (٣/ ١٠)، برقم (٥٥٢)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٢) صحيح: الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧) برقم (٦٧٥٧)، انظر صحيح جامع الترمذي.

(٣) عزاه المباركفوري في «تحفة الأحوذي»، (٨/ ٣٠٠) لابن مردويه.

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٨٥)، من حديث أبي قتادة، وهو ليس عند البخاري كما وهم المصنف.

وقوله ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلاً كثيرًا، كما قال الشاعر:

إن يعذب يكن غرامًا وإن يعـ ط جزيلاً فإنه لا يبالى

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ أى عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحًا.

قال ابن أبى حاتم: ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال: قال الوليد بن مسلم، أخبرنى حَريز بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول: يا أيها الناس، لا تتهموا الله فى قضائه، فإنه لا يبغى على مؤمن، فإذا أنزل بأحدكم شىء مما يحب، فليحمد الله، وإذا أنزل به شىء مما يكره، فليصبر وليحتسب، فإن الله عنده حسن الثواب.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ۝١٩٨﴾

يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجًا، وجميع ما هم فيه ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٩٧﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]، وقال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤] وقال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧] أى قليلاً، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١] وهكذا لما ذكر حال الكفار فى الدنيا وذكر أن مآلهم إلى النار، قال بعده ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ۝١٩٨﴾.

وقال ابن مردويه[(١)]: حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبدالله، أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سعيد بن يحيى، أنبأنا عبيد الله بن الوليد الوصافى عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبى ﷺ قال «إنما سُمُّوا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حق» كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أحمد بن جناب، حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن الوليد الوصافى، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، قال: إنما سماهم الله أبرارًا لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حق، وهذا أشبه، والله أعلم.

ثم قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائى عن رجل عن

(١) من هذا الطريق أخرجه الديلمي في «الفردوس» (١/ ٣٤٦) برقم (١٣٨٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه سعيد بن يحيى: صدوق.

الحسن، قال: الأبرار الذين لا يؤذون الذر. وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن خيثمة عن الأسود، قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها، لئن كان برًا لقد قال الله تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وكذا رواه عبد الرزاق عن الأعمش عن الثوري به. وقرأ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر عن فرج بن فضالة، عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله يقول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ويقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة أنهم خاشعون لله أي مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودا أو نصارى. وقد قال تعالى في سورة القصص ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٢-٥٤] الآية. وقد قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] الآية. وقد قال تعالى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وقال تعالى ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] وقال تعالى ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبدالله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٥]. وهكذا قال ههنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ الآية.

وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة كهيعص بحضرة النجاشي

ملك الحبشة وعنده البطاركة والقساوسة بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم[١] . وثبت في الصحيحين[٢] أن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه وقال «إن أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه» فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه . وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ «استغفروا لأخيكم» فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية . ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي ﷺ ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد عن أنس بن مالك نحو ما تقدم . ورواه أيضا ابن جرير[٣] من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي «إن أخاكم أصحمة قد مات» فخرج رسول الله ﷺ فصلى كما يصلي على الجنائز فكبر أربعا . فقال المنافقون يصلي على علج مات بأرض الحبشة فأنزل الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية .

وقال أبو داود[٤] حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحق حدثني يزيد ابن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

وقد روى الحافظ أبو عبدالله الحاكم[٥] في مستدركه أنبأنا أبو العباس السياري بمرو حدثنا عبد الله بن علي الغزال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا ابن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : نزل بالنجاشي عدو من أرضهم فجاءه المهاجرون فقالوا : إنا نحب أن نخرج نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا فقال : لداء بنصر الله عز وجل خير من دواء بنصرة الناس . وفيه نزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية . ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ﴾ يعني مسلمة أهل الكتاب وقال عباد بن منصور سألت الحسن البصري عن قول الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية . قال هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ فاتبعوه وعرفوا الإسلام فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد ﷺ واتباعهم محمدا ﷺ رواه ابن أبي حاتم وقد ثبت في الصحيحين[٦] عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم» رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي وقوله تعالى ﴿لَا

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٧٤٢)، من حديث أم سلمة، ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٨٧٧)، ومسلم برقم (٩٥٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٣) ابن جرير (٤/ ٢١٨)، وفيه أبو بكر الهذلي: ضعيف.
(٤) ضعيف: أبو داود برقم (٢٥٢٣)، انظر صحيح أبي داود.
(٥) الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٩) برقم (٣١٧٥) ، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٦) البخاري برقم (٣٠١١)، ومسلم برقم (١٥٤) من حديث عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري).

يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي لا يكتمون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانا ولهذا قال تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ قال مجاهد سريع الحساب يعني سريع الإحصاء. رواه ابن أبي حاتم وغيره.

قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم وكذلك قال غير واحد من علماء السلف وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة قاله ابن عباس وسهل ابن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي [١] من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبدالرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال أقبل علي أبو هريرة يوما فقال أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قلت لا. قال أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ أي على الصلوات الخمس ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أنفسكم وهواكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في مساجدكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وهكذا رواه الحاكم [٢] في مستدركه من طريق سعيد بن منصور عن مصعب بن ثابت عن داود ابن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه وقال ابن جرير [٣] حدثني أبو السائب حدثني ابن فضيل عن عبدالله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يكفر الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى بن سهل الرملي حدثنا يحيى بن واضح حدثنا محمد بن مهاجر حدثني يحيى بن زيد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب؟» قلنا بلى يا رسول الله قال «إسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط».

وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن علي أنبأنا محمد بن عبدالله بن سلام البرنوثي أنبأنا محمد بن غالب الإنطاكي أنبأنا عثمان بن عبدالرحمن أنبأنا الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي أيوب قال: وفد علينا رسول الله ﷺ فقال «هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر؟» قلنا

---

(١) مسلم برقم (٢٥١)، النسائي برقم (١٤٣).
(٢) ضعيف: الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٩) برقم (٣١٧٧)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٤٠).
(٣) ابن جرير (٤/ ٢٢٢).

نعم يا رسول الله وما هو؟ قال «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة» قال «وهو قول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فذلك هو الرباط في المساجد». وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدا.

وقال عبدالله بن المبارك[1] عن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير حدثني داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبدالرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ قال قلت لا قال: إنه لم يكن يا ابن أخي في زمان رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة رواه ابن جرير وقد تقدم سياق ابن مردويه له إنه من كلام أبي هريرة رضي الله عنه والله أعلم وقيل المراد بالمرابطة ههنا مرابطة الغزو في نحو العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك وذكر كثرة الثواب فيه فروى البخاري[2] في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها».

(حديث آخر) روى مسلم[3] عن سلمان الفارسي، عن رسول الله ﷺ أنه قال «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان».

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[4]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح، أخبرنى أبو هانئ الخولانى أن عمرو بن مالك الجَنْبى أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله، فإنه يَنْمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر» وهكذا رواه أبو داود والترمذى[5] من حديث أبى هانىء الخولانى وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان[6] فى صحيحه أيضًا.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[7]: حدثنا يحيى بن إسحاق، وحسن بن موسى وأبو سعيد قالوا: حدثنا ابن لهيعة، حدثنا مشرح بن هاعان، سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه يجرى عليه عمله حتى يبعث ويأمن من الفتان» وروى الحارث بن محمد بن أبى أسامة فى مسنده عن المقبرى وهو عبد الله بن يزيد به إلى قوله «حتى يبعث» دون ذكر «الفتان» وابن لهيعة إذا صرح بالتحديث فهو حسن ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد.

(حديث آخر) قال ابن ماجه[8] فى سننه: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرنى الليث عن زهرة بن معبد عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطًا فى سبيل الله أجرى عليه عمله الصالح الذى كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن من الفتان، ويبعثه الله

(١) ضعيف: ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٣٧)، برقم (٤٠٨)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٤٠).
(٢) البخاري برقم (٢٨٩٢). (٣) مسلم برقم (١٩١٣).
(٤) صحيح: المسند (٢٧٧٢٤)، انظر المشكاة (٣٨٢٣).
(٥) صحيح: أبو داود برقم (٢٥٠٠)، الترمذي برقم (١٦٢١)، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢).
(٦) صحيح: ابن حبان (١٠/ ٤٨٤) برقم (٤٦٢٤)، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢).
(٧) صحيح: المسند (١٦٩٨٣)، انظر صحيح الجامع (٤٥٦٢).
(٨) صحيح: ابن ماجه برقم (٢٧٦٧)، انظر صحيح سنن ابن ماجه.

يوم القيامة آمنًا من الفزع الأكبر» .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد [١] : حدثنا موسى ، أنبأنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال «من مات مرابطًا وقى فتنة القبر ، وأمن من الفزع الأكبر ، وغدا عليه وريح برزقه من الجنة ، وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [٢] : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلى ، عن إسحاق بن عبد الله عن أم الدرداء ترفع الحديث ، قالت : «من رابط فى شىء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد [٣] : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا كهمس ، حدثنا مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال : قال عثمان رضى الله عنه وهو يخطب على منبره : إنى محدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعنى أن أحدثكم به إلاّ الضّن بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها» وهكذا رواه أحمد أيضًا [٤] عن روح ، عن كهمس ، عن مصعب بن ثابت ، عن عثمان ، وقد رواه ابن ماجه [٥] عن هشام بن عمار ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن مصعب بن ثابت ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : خطب عثمان بن عفان الناس فقال : يا أيها الناس إنى سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لم يمنعنى أن أحدثكم به إلا الضن بكم وبصحابتكم ، فليختر مختار لنفسه أو ليدع» سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رابط ليلة فى سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها» .

(طريق أخرى) عن عثمان رضى الله عنه . قال الترمذى [٦] : حدثنا الحسن بن على الخلال ، حدثنا هشام بن عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت عثمان وهو على المنبر يقول : إنى كتمتكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عنى ، ثم بدا لى أن أحدثكموه : ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، قال محمد يعنى البخارى أبو صالح مولى عثمان اسمه بركان ، وذكر غير الترمذى أن اسمه الحارث ، والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد [٧] من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، وعنده زيادة فى آخره فقال يعنى عثمان : فليرابط امرؤ كيف شاء هل بلغت؟ قالوا : نعم . قال : اللّهم اشهد .

---

(١) المسند (٨٩٩١)، وفيه ابن لهيعة اختلط .
(٢) ضعيف : المسند (٢٦٥٠٠)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٧٧٨).
(٣) المسند (٤٦٥)، وفيه مصعب بن ثابت : ضعفه بعضهم.
(٤) المسند (٤٣٥)، وفيه مصعب بن ثابت : سبق الكلام عنه في الحديث السابق لهذا.
(٥) حسن : ابن ماجه برقم (٢٧٦٦)، انظر صحيح الجامع (٥٩١٥).
(٦) حسن : الترمذي برقم (١٦٦٧)، انظر صحيح جامع الترمذي.
(٧) أحمد برقم (٤٤٤)، وفيه ابن لهيعة : اختلط .

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذى[١] : حدثنا ابن أبى عمر، حدثنا سفيان، حدثنا محمد بن المنكدر، قال: مر سلمان الفارسى. بشرحبيل بن السمط، وهو فى مرابَط له وقد شق عليه وعلى أصحابه، فقال: أفلا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «رباط يوم فى سبيل الله أفضل - أو قال خير - من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقى فتنة القبر، ونمى له عمله إلى يوم القيامة» تفرد به الترمذى من هذا الوجه، وقال: هذا حديث حسن، وفى بعض النسخ زيادة وليس إسناده بمتصل، وابن المنكدر لم يدرك سلمان.

(قُلتُ): الظاهر أن محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السمط، وقد رواه مسلم والنسائى[٢] من حديث مكحول وأبى عبيدة بن عقبة، كلاهما عن شرحبيل بن السمط وله صحبة عن سلمان الفارسى عن رسول الله ﷺ أنه قال «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» وقد تقدم سياق مسلم بمفرده.

(حديث آخر) قال ابن ماجه[٣] : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة، حدثنا محمد بن يعلى السلمى، حدثنا عمر بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو، عن مكحول، عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «الرباط يوم فى سبيل الله، من وراء عورة المسلمين محتسبًا من غير شهر رمضان أعظم أجرًا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها، ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبًا من غير شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجرًا - أراه قال - من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها، فإن رده الله تعالى إلى أهله سالمًا لم تكتب عليه سيئة ألف سنة، وتكتب له الحسنات، ويجرى له أجر الرباط إلى يوم القيامة» هذا حديث غريب، بل منكر من هذا الوجه، وعمر بن صبيح متهم.

(حديث آخر) قال ابن ماجه[٤] : حدثنا عيسى بن يونس الرملى، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبى طويل، سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «حرس ليلة فى سبيل الله خير من صيام رجل وقيامه فى أهله ألف سنة. السنة ثلثمائة وستون يومًا، واليوم كألف سنة» وهذا حديث غريب أيضًا، وسعيد بن خالد هذا ضعفه أبو زرعة وغير واحد من الأئمة، وقال العقيلى: لا يتابع على حديثه، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم: روى عن أنس أحاديث موضوعة.

(حديث آخر) قال ابن ماجه[٥] : حدثنا محمد بن الصباح، أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن صالح بن محمد بن زائدة، عن عمر بن عبد العزيز، عن عقبة بن عامر الجهنى، قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله حارس الحرس» فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر، فإنه لم يدركه والله أعلم.

---

(١) صحيح: الترمذي برقم (١٦٦٥)، انظر صحيح جامع الترمذي، وانظر تعليق المصنف بعد الحديث.
(٢) مسلم برقم (١٩١٣)، والنسائي برقم (٣١٦٧).
(٣) موضوع: ابن ماجه برقم (٢٧٦٨)، قال الحافظ: هذا حديث غريب بل منكر من هذا الوجه.
(٤) موضوع: ابن ماجه برقم (٢٧٧٠)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه.
(٥) ضعيف: ابن ماجه برقم (٢٧٦٩)، انظر ضعيف سنن ابن ماجه.

(حديث آخر) قال أبو داود[(١)] : حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية يعنى ابن سلام عن زيد - يعنى ابن سلام - أنه سمع أبا سلام قال: حدثنى السلولى أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياههم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم النبى ﷺ وقال «تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله» ثم قال «من يحرسنا الليلة» ؟ قال أنس بن أبى مرثد: أنا يا رسول الله، فقال «فاركب» فركب فرسًا له، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغز من قبلك الليلة» فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال «هل أحسستم فارسكم؟» فقال رجل: يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة، فجعل النبى ﷺ وهو يصلى يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال «أبشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر فى الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على النبى ﷺ ، فقال: إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرتنى، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أرَ أحدًا، فقال له رسول الله ﷺ «هل نزلت الليلة؟» قال: لا إلا مصليًا أو قاضى حاجة، فقال له «أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها» . ورواه النسائى[(٢)] عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحرانى عن أبى توبة وهو الربيع بن نافع به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد[(٣)] : حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عبد الرحمن بن شريح، سمعت محمد بن شمير الرعينى يقول: سمعت أبا عامر التّجيبى، قال الإمام أحمد: وقال غير زيد أبا على الجنبى يقول: سمعت أبا ريحانة يقول كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فأتينا ذات ليلة إلى شرف، فبتنا عليه، فأصابنا برد شديد حتى رأيت من يحفر فى الأرض حفرة يدخل فيها ويلقى عليه الجحفة يعنى الترس، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ من الناس نادى «من يحرسنا فى هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل؟» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فقال «ادن» فدنا، فقال «من أنت؟» فتسمى له الأنصارى، ففتح رسول الله ﷺ بالدعاء فأكثر منه.

فقال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله ﷺ قلت: أنا رجل آخر، فقال «ادن» ، فدنوت فقال «من أنت؟» قال: فقلت: أنا أبو ريحانة، فدعا بدعاء هو دون ما دعا للأنصارى، ثم قال «حرمت النار على عين دمعت - أو بكت - من خشية الله، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله» وروى النسائى منه «حرمت النار» إلى آخره عن عصمة بن الفضل عن زيد بن الحباب به، وعن الحارث بن مسكين عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح به، وأتم وقال فى الروايتين عن أبى على الجَنْبى.

(حديث آخر) قال الترمذى[(٤)] : حدثنا نصر بن على الجهضمى، حدثنا بشر بن عمر، حدثنا

---

(١) صحيح: أبو داود برقم (٢٥٠١)، انظر صحيح سنن أبي داود.
(٢) صحيح: النسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٧٣) برقم (٨٨٧٠)، انظر صحيح الترغيب والترهيب.
(٣) حسن: المسند (١٦٧٦٢)، انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٢٤٣).
(٤) صحيح: الترمذي برقم (١٦٣٩)، انظر صحيح جامع الترمذي.

شعيب بن رُزيق أبو شيبة عن عطاء الخراسانى، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «عينان لا تمسهما النار: عيـن بكت مـن خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله» ثم قال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رُزيق، قال وفى الباب عن عثمان وأبى ريحانة. .

(قُلْتُ) وقد تقدما، ولله الحمد والمنة.

(حديث آخر) - قال الإمام أحمد [١]: حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين عن زَبّان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال «من حرس من وراء المسلمين متطوعًا لا بأجرة سلطان، لم ير النار بعينيه إلا تحلة القسم، فإن الله يقول ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]» تفرد به أحمد رحمه الله.

(حديث آخر) - روى البخارى [٢] فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع». فهذا آخر ما تيسر إيراده من الأحاديث المتعلقة بهذا المقام، ولله الحمد على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام.

وقال ابن جرير [٣]: حدثنى المثنى، حدثنا مطرف بن عبد الله المدنى، حدثنا مالك عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعًا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجًا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول فى كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهكذا روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبى سكينة، قال: أملى على عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودعته للخروج، وأنشدها معى إلى الفضيل بن عياض فى سنة سبعين ومائة، وفى رواية سنة سبع وسبعين ومائة.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى وغبار خيل الله فى ... أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

(١) ضعيف: المسند (١٥١٨٥)، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٧٨٦).
(٢) البخاري برقم (٢٨٨٧). (٣) ابن جرير (٤/ ٢٢١).

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال: قلت: نعم، قال: فاكتب هذا الحديث كراء حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا وأملى على الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلًا قال: يا رسول الله، علمني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال «هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟» فقال: يا رسول الله، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ «فوالذي نفسي بيده لو طُوِّقْتَ ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله، أَوَ ما علمت أن الفرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له بذلك الحسنات» وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» [(١)] ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي في الدنيا والآخرة - وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قول الله عز وجل ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدًا إذا لقيتموني.

انتهى تفسير سورة آل عمران، ولله الحمد والمنة، نسأله الموت على الكتاب والسنة آمين.

(١) حسن: أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، أحمد برقم (٢٠٨٤٧)، انظر صحيح جامع الترمذي.

openkandil.com